الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

**وزارة التعليم العالي والبحث العلمي**

**جامعة الإخوة منتوري- قسنطينة- 1**

# محاضرات

# مقياس تاريخ الحضارة الإنسانية

السنة أولى ليسانس

المجموعة الثالثة الأفواج (11-12-13-14-15)

(نظري)

أ.د. الخامسة علاوي

# المحاضرة الأولى: الحضارة مفهومها، مظاهرها ومقوماتها

- ماهية الحضارة :

لا شك أنّ السؤال عن معنى الحضارة يعدّ سؤالا صعبا ؛ لأنّه ثمة تعريفات ومقاربات كثيرة حول الحضارة، بعضها يأتلف وبعضها يتناقض، لعل السبب في ذلك هو السجال الدائر بين الحضارة والمدنية على اعتبار أنّ الحضارة أقرب ما تكون إلى التعبير عن التقدم في الجانب الروحي(الأخلاقي - الديني -الفني للبشر )، بينما المدنية أقرب ما تكون إلى التعبير عن الجانب المادي والتقدم التقني، الذي يحققه البشر في المجالات المختلفة اقتصادية كانت أو معمارية أو طبية أو هندسية ....إلخ.

وربما يرجع ذلك التمييز إلى استخدام مصطلح "**culture**" كما يسميها الألمان للتعبير عن الحضارة، بينما استخدم مصطلح "**civilisation**" للتعبير عن المدنية.

لكنّ الحقيقة أنّ كلا المصطلحين قد استخدم للتعبير عن الحضارة، ولا مانع في إطار ذلك بين الحديث عن الجانب الروحي للحضارة أو الحديث عن الجانب المادي التقني فيها.

وإذا ما أخذنا ذلك التمييز بين الجانب الروحي للحضارة وبين جانبها المادي التقني، فقد فض السجال والخلاف بين منْ كتبوا عن معنى الحضارة باستثناء أولئك الذين عادة ما يقصرون فهمهم للحضارة على التقدم المادي التقني، الذي يحققه البشر، فهؤلاء قد قصّروا في فهم التحضر البشري، فليس التحضر مقصورا على أولئك الذين حقّقوا التقدم الاقتصادي، والإطار المادي ولا على أولئك الذين يتمتعون عادة بكلّ المنجزات والمخترعات الحديثة فيعيشون حياة الرفاه والتنعم، بل ربما يكون العكس هو الصحيح ؛ إذ كلما انغمس البشر في التنعم المادي والاستمتاع بملذات الحياة مستفيدين من تقنيات العصر وآلياته الحديث، كلما بعدوا عن التحضر ضاربين عرض الحائط القيم الأخلاقية والدينية التي ينبغي تميّز المجتمع البشري عن المجتمعات الحيوانية.

إنّ البشر إذا ما اكتفوا بما يمكن أن أسميه "القشرة الحضارية"، وأعني بها التلذذ بما ابتدعوه من مخترعات كأفراد بعيدين عن التواصل الاجتماعي مع الآخرين والإحساس بهم ف ضوء قيم أخلاقية ودينية وكونية حاكمة للمجتمع الانساني بما هو كذلك.

فإذا اكتفى البشر بتلك القشرة الحضارية دون التمسك بالجوهر الحضاري للإنسانية وهو قيمها الدينية و الأخلاقية، فإنهم بلا شك سيفقدون البوصلة الحضارية الانسانية ويعيشون حياة البهائم والحيوانات، فلا تحضر دون قيم، ولا إنسانية دون مراعاة حقوق الآخر والعمل على إسعاده معنويا وماديا.

وعليه فإنا نرى، على كثرة تعريفات الكتّاب والفلاسفة للحضارة ، ترجيح تعريف أبرت اشفيتسر الذي أورده في كتابه" فلسفة الحضارة"، والذي يقول فيه:

" إنّ الحضارة هي التقدم الروحي والمادي للأفراد والجماهير على السواء".

ففي هذا التعريف ما يؤكد تلاحم الجانبين الروحي والمادي في معنى الحضارة، كما أنّه قد قدم الجانب الروحي على المادي، فأسبقية الروح على المادة هي ما يؤكد في الحضارة الانسانية إنسانية الانسان، فلا معنى لأي تقدم مادي ما لم يسبقه ويقوده ويساوقه التقدم في المجال الروحي والأخلاقي .

- مقومات الحضارة:

لما كان الانسان هو الكائن الوحيد الذي تُعزى إليه الحضارة وصنع التقدم الاجتماعي والمدني، فإنّ الجدير بنا أن نتساءل : بما يصنع الانسان حضارته؟! هل يصنع الانسان حضارته معتمدا على قواه الجسمية أم العقلية؟

لا شكّ أنّ الحضارة الانسانية هي نتاج التفكير العقلي للإنسان، وهي نتاج سيطرة الانسان بعلمه على قوى الطبيعة أولا، وسيطرة الإرادة العقلية للإنسان على أهوائه ونزعاته ثانيا.

إنّ الابداع العقلي للإنسان إذاً، هو المقوم الأساسي للحضارة الانسانية. ولهذا فإنّ الحضارة الانسانية فيما يقول شفيتسر مزدوجة الطبيعة، فهي تحقق نفسها في سيادة العقل أولا على قوى الطبيعة، وثانيا على نوازع الانسان.

وإذا ما تساءلنا مع شفيتسر : أي نوعي التقدم هو التقدم الحقيقي في الحضارة الإنسانية هل هو التقدم في مجال السيطرة على قوى الطبيعة أم في مجال السيطرة على نوازع الانسان؟! لكانت إجابته: " أنّه التقدم في النوع الثاني وإن كان أقلّها ظهورا عند الملاحظة، وذلك لسببين:

الأول: أنّ سيادة العقل على الطبيعة الخارجية لا تمثّل تقدما خالصاً، بل تقدما تقترن فيه المزايا بالمساوئ التي يمكن أن تعمل في اتجاه البربرية. فالسبب في أنّ الأحوال الاقتصادية في عصرنا فيها خطر على الحضارة ينبغي أن يُبحث عنه جزئيا في هذه الواقعة وهي أننا سخرنا لخدمتنا قوى طبيعية يمكن أن تتجسّد في آلات. لكن يجب مع هذا أن تكون ثمة سيادة للعقل على نوازع الناس حيث لا يستخدم بعضهم ضد بعض، ولا الأمم التي يكونونها، القوة التي أعطتهم إياها السيطرة على هذه القوى لأنّ ذلك يلقي بهم في كفاح للوجود وأشدّ ترويعا من ذلك القائم بين الناس الذين يعيشون على الفطرة والطبيعة البدائية . فدعوى التحضر لا تصدق إلاّ بالاعتراف بهذا التمييز بين ما هو جوهري للحضارة وما ليس كذلك."

وما هو جوهري كما قلنا هو الجانب الروحي والأخلاقي من الحضارة ، إذْ على الرغم من أهمية التقدم المادي الذي يمكّننا من السيطرة على الطبيعة واستغلالها لصالح الإنسان إلاّ أنّ سيطرة الانسان بفعله على نوازعه يُقصد به في الأساس توجيه إرادة الأفراد والمجتمع وجهة تحقيق الخير للجميع بشقيه المادي والمعنوي، أعني أن يكون التوجه الحضاري في مجمله أخلاقيا وهذا لن يكون الاّ إذا كان صانعو الحضارة أخلاقيون ؛أي يملكون الارادة الخيّرة لهم وللجميع ومن ثمّ فأي تقدم علمي أوتقني سيحققونه سيكون في مصلحة الجميع ولن يكون أداة للتمييز بين البشر والتجبر على بعضهم كما هو حادث الآن في ظل التقدم التقني والعلمي للغربيين عامة وللأمريكيين على وجه الخصوص ، حيث يسخّر هذا التقدم ليس لصالح المجتمع البشري ككلّ بل يسخّر لخدمة المصالح الأمريكية والغربية في المقام الأول ويحرم منه باقي البشر بشكل أو بآخر .

- شروط قيام الحضارة :

لا شروط عرقية لقيام الحضارة، إذ يمكن أن تظهر في أية قارة يقول توينبي : "لا يوجد عرقٌ متفوّق بدأت الحضارة عن يده".

ونظرية توينبي تقول: إنّ تقدم الحضارة كان نتيجة رد فعل للتحدي في الظروف الصعبة التي تدفعه إلى بذل أكثر، ومثال ذلك ( الصحراء الكبرى)، التي كانت سهولا خصبة ملأى بالأعشاب والمياه، وبتغير الظروف المناخية، وهي التحدي هنا ، سلك السكان طرقا ثلاثا استجابة لهذا التحدي:

1- فبعضهم ظلّوا مقيمين في الصحراء الكبرى، وبدّلوا عاداتهم ونمط معيشتهم إلى بَدْو ورُحَّل.

2- وآخرون انتقلوا إلى المناطق المدارية جنوبا حيث الغابات، حافظوا على حياتهم البدائية.

3- وآخرون دخلوا مستنقعات وادي النيل وغاباته كما دخلوا الدِّلتا، وقَبِلوا التحدي، وعملوا على تجفيف المستنقعات وإعدادها للزراعة، وأتوا بالحضارة المصرية القديمة .

وكذلك الحضارة السومرية في دلتا الدجلة والفرات، وكذلك حضارة الصين في وادي النهر الأصفر( هوانجْ هُو)، ولا ندري تماما ما نوع التحدي ولكنّ الأحوال كانت صعبة.

والحضارة الإيجية المينوسية، كان أصلها تحدي الحر للسكان.

فالأحوال الصعبة المعاكسة، وليست الأحوال المواتية ، هي التي تنتج الحضارات ، وهذا ما يسمّى ( حافز الصعوبات).

ثمّ يقول توينبي: " إنّ الأرض الجديدة تثير الهمم، والأرض البكر تولّد ردَّ فعل أقوى من ذلك الذي تولّده أرض ذات حضارة سابقة، فالحضارات التي أتت بتأثير ما سبقها، نرى أنّ مظاهرها القوية كانت في مناطق خارجية عن نطاق الحضارة الأصلية التي سبقتها ."

ويتساءل مستدركا في نظرية التحديات هذه: أيجب أن يكون ردّ الفعل أعظم كلّما كان التحدي أشدُّ؟ أم إنّ هناك تحديات شديدة جدا لا تأتي بأي مفعول معاكس؟

ويجيب بأنّ بعض التحديات قضت على المجتمعات التي لاقتها، ولكنّها أخيرا أدّت إلى ردّفعل مناسب من مجتمع آخر. أو من جهة أخرى، مثل الاجتياح الهِليني* للشرق، وأدى إلى ردود فعل مخففة ضدها فظهرت الزرادشتية.

وعلى العموم إنّ قيام الحضارة مشروط بطائفة من العوامل منها ما يستحثُّ خُطاها ، ومنها ما يعيق مسارها ، ومن هذه العوامل :

1- العوامل الجيولوجية: فعصر الجليد أعاق مسارها، والتربة الخصبة استحثت خطاها.

2- العوامل الجغرافية: المناخ المناسب يستحثُّ خطاها، ولكنه لا يخلق حضارة خلْقاً، إلاّ أنّه يستطيع أن يبتسم في وجهها، ويهيء سبيل ازدهارها وتقدّمها، وحرارة المناطق الاستوائية المرتفعة، وما يجْتاح تلك المناطق من أمراض تهيء للحضارة أسبابها، وهي بالتالي لا تستحثُّ خطاها.

3- العوامل الاقتصادية: تبدأ الحضارة في كوخ الفلاح ، ولكنّها لا تزدهر إلاّ في المدن. قد يكون لشعب مؤسسات اجتماعية منظمة، وتشريع خُلُقي رفيع، بل قدْ تزدهر فيه صغريات الفنون، كما هي الحال مع الهنود الحُمر، ومع ذلك فإنّه إنْ ظلّ في مرحلة الصيد البدائية ، واعتمد في وجوده على ما عسى أن يصادفه من قنائص، فإنه يستحيل أن يتحول من البدائية إلى الحضارة تحولا تاما.

4- يضاف إلى ما سبق من عوامل ، العوامل النفسية التي تسرّع في تقدم الحضارة . إنّ العوامل الجيولوجية، والجغرافية والاقتصادية لا تكوّن حضارة ، وتنشِئُ مدنية من عدم، إذ لابد أنْ يضاف إليها العوامل النفسية ، ولابد أن يسود النّاس نظام سياسي، وحالة استقرار ، وربما كان من الضروري أن يكون بين الناس بعض الاتفاق في العقائد الرئيسة ، وفي المُثُل العليا المنشودة، لأنّ ذلك يرفع الأخلاق من مرحلة توازن فيها بين نفع العمل وضرره إلى مرحلة الإخلاص للعمل ذاته، وهو كذلك يجعل حياة الانسان أشرف وأخصب.

*- الاجتياح الهليني هي فترة متأخرة من الحضارة الإغريقية التي تزدهرت في الفترة المسماة العصر الكلاسيكي، والهيلينية هي ثقافة مركبة من عناصر يونانية وشرقية حمل فيها الإغريقيون إلى الشرق الفلسفة ، ومدّ فيها الشرقيون الحضارة اليونانية بروحانية الشرق وعادته وعلومه.

- اتصال الحضارات وانتقالها:

يتم الاتصال بين الحضارات، وبالتالي انتقالها عن طريق: الغزو والفتح، أو الحكم الأجنبي، أو الهجرة والسياحة والجوار، ومثال ذلك ( الهيكسوس )الذين غزوا مصر سنة 1730ق.م وبقوا فيها حتى 1580ق.م ، وقد عاملوا أهلها بشدة وعنف، ولكنّهم ما لبثوا بعده مدة أن تعوّدوا على الحياة المصرية وجرفهم تيار حضارتها فتمصَّروا وقلدوا الفراعنة في أسمائهم وألقابهم، وعاداتهم وتقاليدهم وقدّموا القرابين إلى الآلهة المصرية وسمّوا أنفسهم ( أبناء رعْ) ، ونميّز في حالات الاتصال هذه، نوعين رئيسين من انتقال الحضارة:

1- إذا كان الشعب المهاجم في حالة بدائية، تحدث حالة توقف في مسيرة الحضارة الأصلية، كالهكسوسوالبرابرةو الجرمان والتتر .

2- أما إذا كان الشعب الفاتح في حال فكري أرقى، كالفاتحين العرب المسلمين.

وقد حصل تبادل حضاري بين حضارتين، وقد يعطي الشعب المغلوب للغالب أكثر مما يأخذ منه، مثال ذلك اليونان عندما حكمهم الرومان والصليبيون عندما وصلوا إلى بلاد الشام، واطلعوا على الحضارة العربية الاسلامية.

وقد يتمّ الانتقال عن طريق طرف آخر، فالحضارة العربية الاسلامية انتقلت إلى أوروبا عن طريق المدن الإيطالية وصقلية والأندلس.

- مظاهر الحضارة:

للحضارة عناصر تتألف منها، ومظاهر متعددة تظهر بها:

1- المظهر السياسي: ويبحث في هيكل الحكم، ونوع الحكومة، ملكية أم جمهورية دستورية أم مطلقة، والمؤسسات الإدارية والمحلية.

وإنما تنشأ الدولة بسبب ضرورة النظام، ولا يعود بالإمكان الاستغناء فيها، وتصبح الدولة وسيلة للتوفيق بين المصالح المتباينة التي تكوّن مجتمعا مركبا.

2- المظهر الاقتصادي: ويبحث في تكوّن المجتمع ونظمه، وحياة الأسرة، والمرأة، وطبقات المجتمع، والآداب والأعياد.

3- المظهر الديني: ويبحث في المعتقدات الدينية، والعبادات، وعلاقة الانسان، ونظرته إلى الكون والحياة.

4- المظهر الفكري: ويبحث في النتاج الفكري، ومن فلسفة وعلم وأدب.

5- المظهر الفنيّ: ويبحث في الفن المعماري، والرسم والموسيقى وغيرها من الفنون .

- المراكز الحضارية القديمة:

- الحضارة القديمة: مصطلح يشير إلى الحضارات التي ازدهرت في الماضي البعيد. ويستخدم المصطلح خاصة ليدل على طريقة الحياة التي وُجدت حول البحر الأبيض المتوسط قبل 3000 ق.م ، وانتهاءً بسقوط روما في عام 476م ، ويشمل ذلك الحضارات العظيمة التي طوّرها الآشوريين والمصريون والعبرانيون والفرس.

وتعدّ حضارات الإغريق والرومان القديمة جزءاً من هذه الحضارة القديمة، ولكن توجد أيضا حضارات قديمة عظيمة،ازدهرت في الشرق الأقصى والنيل والفرات والجزيرة العربية، والهند ووسط وجنوبي إفريقيا وشمالي وجنوبي أمريكا.

ولقد ساهمت هذه الحضارات القديمة في الكثير من الأشياء في عالم اليوم، ولا يزال الناس يتمتعون و يعجبون بالمسرح القديم والشعر ولوحاته الفنية ونحوتاته ويزرون الأهرامات المصرية وهيكل الآلهة في أثينا والمواقع القديمة الأخرى .

- فائدة علمية هامة :

## - وقفة مع مفهوم الثقافة

لا ريب أنّ تعدد "مفهوم الثقافة بتعدد الإيديولوجيات المعرفية المختلفة، حتى بلغت نحو 160تعريفاً، حسب رأي عالم الأنثروبولوجيا ألفرد كروبر و كلاكهون. ومن هنا تنبع أهمية تحديد مفهوم الثقافة باعتباره الأرضية و القاعدة التي تنطلق منها جميع أنماط السلوك المتعلم، الذي نكتسبه من خلال عضويتنا في المجتمع، وتتضمن بطبيعة الحال المعارف العلمية والفكرية، والوسائل التي تخلق القيم" وهذا يعني أنّ الثقافة في عمومها هي "مجموعة متكاملة من المعارف ذات تأثير أخلاقي وسلوكي، وفكري على الإنسان بحيث تجعل منه شخصية سوية قادرة على مواجهة مشكلات الحياة بعقلية ناضجة متفتحة. فلا تتصرف في جموح وتهور، ولا تنكص على أعقابها في تخاذل وتهرب، ولا تقف منها موقف الحيرة والتردد" فإذا توافرت كل هذه الخصائص نستطيع أن نقول على حد تعبير محمد عبد الواحد حجازي :"إن هذا الإنسان مثقف"وليس متعلما، فثمة فرق بين المثقف والمتعلم؛لأنّ كون الفرد متعلما كما جاء في كتاب (مقدمات لدراسة المجتمع العربي) يجعله صاحب وضع ودور خاصين في

المجتمع؛ إذ التعلم في حد ذاته يضفي مكانة اجتماعية على صاحبه، وهو قيمة مستقلة بغض النظر عن محتواه، على أنه كثيرا ما نجد أنّ التعلم لا يترك أثرا يذكر في أسس الشخصية، وبالرغم من أنّ أسس تركيب الشخصية تبقى دون تغيير فإنّ مطالبة المتعلمين بمكانة خاصة تجد لنفسها دعما قوياً لمجرد أنهم متعلمون، ونتيجة لذلك فـ"إنّ العادات الذهنية التقليدية والسلوكية القديمة تكتسب مكانة خاصة لصدورها عن المتعلمين، وبالتالي تسهم في زيادة الضعف الاجتماعي العام". وهو لم يقف عند هذا الحد من التعريف المغرق في السلبية للمتعلم، بل راح يصرّح بـ "أنّه كلما زداد البورجوازي الإقطاعي علما أصبح أقل قدرة على القيام بالمهمات الاجتماعية وازداد أنانية مؤكدا أنه طالما بقيت قوالب الشخصية الأساسية كما هي فإنّ التغيير يصبح مستحيلا (...) ولذلك فإنّ المتعلمين لا يمكنهم أن يشكلوا قوة مستقلة تعمل على إحداث التغيير، فالقواعد والقيم التي يمثلونها في حياتهم العملية هي القواعد والقيم التي يمثلها النظام القائم في تركيبه وأيديولوجيته التي ترفض التغيير الجذري" وفي مقابلة ذلك يؤكد على أنّ المثقف يتميز بميزتين هامتين هما:

أ- الوعي الاجتماعي،

ب- الدور الاجتماعي.

ويلخص هاتين الميزتين قوله معرفا المثقف بأنه الذي يجعل "النظام القائم أيا كان تركيبه الاجتماعي هو ميدان خصب لنشاطه الفكري وربحه المادي فهو في حياته العملية يلائم نفسه مع التركيب الاجتماعي بغض النظر عن إمكان وجود أية نزعة أيديولوجية معارضة، يهيئه لتمثيل دور المتعاون مع النظام، وهو دور لا يستطيع تبديله إلا بتغيير نهج حياته".

وعموما فإن "لكل ثقافة بيئة محلية وتاريخية ومجتمعية أولها توازناتها الذاتية المستمدة من معطى المنابع والمصادر الأصلية لهذه الثقافة، ومعطى الواقع وتفاعلاته "، وعليه فإنّ "كل ثقافة حسب رأي بواس لها ذاتيتها، وتمتاز بخصائص وسمات خاصة بها، تتكشف بمعرفة تاريخ هذه الثقافة"؛ أي "أنّ كل ثقافة لها تاريخ فريد يميزها عن غيرها من الثقافات الأخرى"، ويمنحها"شخصية متميزة"، تماما كما أنّ لكل حضارة روح تميزها عن الحضارات الأخرى كما أسلفنا.

وأية أمة مهما كان وضعها "لا تستطيع أن تبادر إلى عمل، أو تقوم بإنجاز مشروع، دون أن تعرف نفسها، وتحدّد مكانها ودورها كجماعة متميزة، أي كذات جماعية أو إرادة جماعية. ومن هنا فإنّ الثقافة ضمن الفهم آنف الذكر هي التي تنقل المجتمع من واقعه السكوني إلى آفاق الحركة، فهي شرط أساسي لإنتاج المجتمع وفق المنظومة المعرفية والمفاهيمية الجديدة.

وعلى هذا لا تكون الثقافة ماهية ثابتة جامدة، كما يرى الأنثروبولوجيون*، وإنما علاقة تفاعل مستمرة ومفضية إلى التطور في الثقافة والمجتمع "، ولأنّ الأمر كذلك " فإنّ الثقافة (أية ثقافة) تفقد خصوصيتها إذا لم تفرض نفسها كثقافة منتجة لقيم الحضارة وحوامل التقدم والتطور".

وللتنويه فقد ثار جدل طويل حول علاقة الثقافة بالدين، حتى ذهب ت.س.إليوت إلى أنّ الثقافة هي تجسيد لدين الشعب، كما ذهب ماثيو أرنولد في كتابه المسمى (الثقافة والفوضى) "**Culture and Anarchy** " سنة 1869إلى القول إنّ الثقافة هي محاولتنا الوصول إلى الكمال الشامل عن طريق العلم بأحسن ما في الفكر الإنساني مما يؤدي إلى رقي البشرية، وإنّ الدين من العناصر التي استعان بها الإنسان في محاولته الوصول إلى الكمال المنشود. ونحن كمسلمين لا يمكن لنا إنكار علاقة الثقافة بالدين؛ لأنّ الإسلام كدين "صنع ثقافة جديدة عُدت من الثقافات الإنسانية العالمية الكبرى، التي رفدت الحضارات البشرية والعقل الإنساني، بالمعارف والعلوم والقيم والأخلاق، واعترف لها العلم بهذا العطاء العلمي والقيمي والحضاري، وكان لهذه الثقافة حكمتها وفلسفتها وعبقريتها وجماليتها وفتوحاتها(...)، واتحدت العلاقة بين الثقافة والدين مع أول آية نزلت من القرآن الكريم، وهي آية (إقرأ)".

وجماع القول إنّ الثقافة"هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون، وكل القدرات والعادات الأخرى، التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع" وهذا التعريف كما لا يخفى على أي باحث هو للعالم البريطاني الانثروبولوجي الشهير إدوارد تايلور، وهو أجود تعريف للثقافة لأنه "احتفظ بقيمته وفاعليته ولم يستطع أحد أن يخرجه من مجاله التداولي في جميع الأزمنة التي مرت عليه"، لذلك اصطفيناه خاتمة لهذا المبحث، يقول زكي الميلاد متوقفا عند هذا التعريف وقفة الفاحص المحلل لكل أجزائه "عند النظر في هذا التعريف فحصا وتحليلا لعناصره ومكوناته، يمكن تحديدها في النقاط التالية:

أولاً : إنّ الثقافة هي من المفاهيم الكلية وليست من المفاهيم الجزئية. فهي ذلك الكل كما قال عنها تايلور، والكلي والجزئي من مفاهيم المنطق، وأهل المنطق يعرّفون الكلي بأنّه المفهوم الذي لا يمتنع صدقه على أكثر من واحد، وأما الجزئي فهو المفهوم الذي يمتنع صدقه على أكثر من واحد.

---

*- إنّ هذه العبارة التي أوردها محمد محفوظ تدين كثيرا الانثروبولوجيين وتبخسهم حقهم في الجهود التي بذلوها من أجل تحديد دقيق وشامل للثقافة، ذلك أنّ الانثروبولوجيا هي من العلوم التي برهنت على أن الثقافة لا تعرف السكون، وإنما هي في حركة دائمة، وبصورة غير مرئية أحياناً. ولا تتقيّد الثقافة بمكان، أو تتحدد بزمان، وإنما هي في حالة تفلت وانتشار دائمين، وإن كانت تتفاوت من جهة سرعة الانتشار وقوته ونوعيته. ولأهمية هذه الظاهرة في الدراسات الأنثروبولوجية فقد تحولت إلى اتجاه عُرف بالاتجاه الانتشاري. وهو الاتجاه الذي يربط الثقافات الذي يربط الثقافات في المجتمعات الإنسانية بعلاقات مشتركة، ويحاول تفسير الثقافة على هذا الأساس. راجع : الميلاد، زكي : المسألة الثقافية، ص ص 148- 149.

وهذا يعني أنّ الثقافة من المفاهيم التي لا يمتنع صدقها على أكثر من واحد، سواء كان هذا الواحد من أقسام العلوم، أو من أقسام الآداب، أو من أقسام الدين والأخلاق، وذلك بخلاف الجزئي الذي يتحدد وينحصر في عنصر واحد، ويمتنع صدقه على أكثر من واحد.

ثانياً: إنّ الثقافة هي من المفاهيم المركبة، وليست من المفاهيم البسيطة، فهي ذلك الكل المركب حسب عبارة تايلور. والمركب يطلق على المفهوم الذي يحتوي أجزاءً وعناصر متعددة، والبسيط يطلق على المفهوم الذي يفتقد لتلك الأجزاء والعناصر المتعددة. بمعنى أنّ المركب يتقدم وجودا وفاعلية بتلك الأجزاء والعناصر، والبسيط يتقدم وجوداً وفاعلية بذاته دون الحاجة لتلك الأجزاء وعناصره المكونة له. والثقافة بهذا المعنى هي ذلك المركب من أجزاء وعناصر، ولا تتحقق وجودا وفاعلية إلاّ بتعاضد تلك الأجزاء والعناصر.

ثالثاً: لهذا فإنّ الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والعرف والقانون، وكل القدرات والعادات الأخرى، وهذا يعني أنّ الثقافة ليست علماً؛ لأنها لو كانت علماً لتضيقت وتحددت في نطاق ذلك العلم، وبصورة لا تخلو من صرامة، بحيث يمتنع عليها تجاوز الحدود التي يفرضها وبصرامة قانون العلم. ولأنّ الثقافة ليست علماً لذلك شملت المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون وغيرها.

رابعاً: إنّ الثقافة هي عملية اكتساب، التي يكتسبها الإنسان حسب تعبير تايلور. والاكتساب مفهوم يقابل التوريث أو الانتقال الجبري والطبيعي، وله خاصة التأثر والتأثير. بمعنى أنّ الثقافة هي عملية اكتساب عبر وسائط التربية والتعليم والتنشئة، وعبر جميع طرائق التفاعل والتواصل الاجتماعي، وليست عملية انتقال فطري أو غريزي، أو عبر طرائق المورثات البيولوجية. ويرى الدكتور أبو زيد أنّ كل العلماء الذين تعرضوا لمشكلة تعريف الثقافة، يعطون أهمية كبرى لعناصر التعليم أو الاكتساب، ويبعدون عنها كل ماهو غريزي أو فطري أو موروث بيولوجي.

خامساً: إنّ الثقافة مفهوم يرتبط بالمجتمع، فهي التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع، والاكتساب من المجتمع عملية مستمرة لا نهاية ولا توقف، وتحصل بوعي أو بدون وعي، برغبة أو بدون رغبة، ومن الصغر إلى الكبر، ولهذا فقد أصبحت الثقافة تدرس وتعرّف في نطاق علاقتها بالمجتمع. وفي الدراسات الأنثروبولوجية أصبحت تربط بمفهوم التراث الاجتماعي. المفهوم الذي يعني أن علاقة الثقافة بالمجتمع هي علاقة تفاعل قديمة، وتمتد إلى أجيال متعاقبة".

والحق أنّ هذه الوقفة التفكيكية الواعية قد استوعبت كل عناصر التعريف ومكوناته بل أضفت عليه جانبا شموليا أضحى به التعريف موصوفا بالجامع المانع دون جدال.

وعموما وحتى لا ننسى هدفنا من وراء الوقوف عند مفهوم الثقافة فإنّا نقول : ليست الثقافة "مشروعا متعاليا على الواقع وشؤونه، كما أنها ليست تراكما تجريديا لا صلة له بالناس، وإنما هي حركة باتجاه صقل مواهب الإنسان وتهذيب سلوكه العام والخاص، وجعله متناغما والاختيارات الكبرى للمشروع الحضاري"، الذي يسعى كل مجتمع مهما كانت ثقافته إلى تحقيقه. وعليه إذا كانت الثقافة في أبسط معانيها هي"مجموع الاستجابات والمواقف التي يواجه بها شعب من الشعوب ضرورات وجوده الطبيعي بما تحمله من عادات ومعتقدات وآداب وأعياد" فإنّ "الحضارة كثيرا ما تعرف بكونها التجسيد العملي لتلك الاستجابات والمواقف"، وعليه فإنّ الثقافة تنزع إلى الخصوصية لأنها ترتبط بطريقة الحياة في مجتمع ما، بينما تنزع الحضارة إلى العمومية لأنها عالمية، ذلك أنّ القواعد النظرية والعملية في جميع الحضارات واحدة.

# المحاضرة الثانية: حضارة مصر القديمة

- نبذة تاريخية:

كانت مصر القديمة مهداً لواحدة من أولى حضارات العالم. وقد قامت هذه الحضارة المتقدّمة منذ نحو 5000 سنة مضت على ضفاف وادي النيل في شمال شرقي إفريقيا، وقد عاشت هذه الحضارة لأكثر من ألفي سنة وبهذا أصبحت أطول حضارة معمّرة في التاريخ.

وقد كان نهر النيل شريان الحياة لمصر القديمة، يفيض في كلّ سنة، وتترسب شريحة من التربة الغنية السوداء على امتداد ضفتيه. وقد ساعدت التربة الغنية المزارعين في تنمية إمداد غذائي ضخم، وأطلق قدماء مصر على بلدهم (كِميث) أي الأرض السوداء تيمناً بتلك التربة الداكنة.

وفّر النيل كذلك المياه للري، كما كان الطريق الرئيسي للنقل في مصر. لهذه الأسباب مجتمعة أطلق المؤرخ اليوناني هيرودوت على مصر ( هبة النيل).

قدّم المصريون القدامى مساهمة بارزة في تطوير الحضارة، فقد كوّنوا أول سلطة مركزية في العالم، وابتدعوا الأشكال الأساسية للرياضيات، إضافة لتقويم سنوي من 365 يوماً. واخترعوا شكلا للكتابة بالصور يسمّى (الهيروغليفية)، كما اخترعوا أيضا ورق البرْدِي وهو مادة كورق الكتابة ، مصنوعة من سيقان نبات البَرْدِي.

وكانت ديانة مصر المصريين من أقدم الديانات التي أكدت على الاعتقاد بالحياة ما بعد الموت. وبنوا مدُناً عظيمة عمل فيها عدد من المهندسين والمعماريين والأطباء والنحاتين والرسامين المهرة .

من أشهر منجزات المصريين القدامى الأهرامات التي بنوها مقابر لحكامهم ، وتقع أكثر الأهرامات شهرة في الجيزة. وقد مثلت هذه الأبنية الحجرية الضخمة، قمة قدراتهم في الهندسة المعمارية ، وبقيت متماسكة بفعل المناخ الجاف لنحو 4500سنة، وهي باقية كمؤشرات مُدهشة لتطور مصر القديمة.

- الديانة : اعتقد المصريون القدامى أنّ عدد من المعبودات( آلهة وإلاهات) يؤثّر في كلّ أوجه الطبيعة ، وفي كلّ النشاط البشري، لذلك عبدوا الكثير من الآلهة، وكان المعبود الأساسي هو الإله (رَعْ) إله الشمس على زعمهم.

اعتمد المصريون على إلههم (رَعْ) وعلى إلاهتهم ( رَنوُتَتْ) للحصول على حصاد جيد. وكانت أهم الإلهات (إيزيس) وهي تمثّل الأم والزوجة المخلصة ، أما ( أُوزريس) زوجها وأخوها في الوقت نفسه فعَدُّهُ المتحكم في

الزرع وفي الموت، وكان (حورس) ابن إيزيس وأوزوريس إله السماء عندهم، وسمّوه ربُّ السماء وصوَّروه برأس صقر حر.

وفي كلّ بلدة أو مدينة مصرية عبد الناس إلهاً خاصا بهم، بالإضافة إلى الآلهة الرئيسة. فالناس في طَيْبَة على سبيل المثال عبدوا (آمون) إلهاً للشمس، وأخيرا وُحِّدَ آمون بِرَعْ، وبعد ذلك أصبح (آمون- رع) المعبود الرئيسي.

ومن الآلهة المحلية عبدوها (بِتاحْ) الإله الذي أوجد منفيس. و(تَحُوت) إلهة الحكمة والكتابة في هيرموبولس، و(خنوم) كإله خالق أيضا في (فِيَلة) . وكان العديد من الآلهة يصوّر بأجسام بشرية ورؤوس حيوانات ومثل هذه الرؤوس كان يشير إلى ميزة حقيقية أو متخيلة للحيوان ، وبهذا كان يتم التعرف بالمعبود بطريقة سهلة.

والجدير بالذكر أنّه لم يكن يُعرف كيف كان يتعبد عامة الناس ، المهم أنّ كلّ معبد كان منزلا لأحد الآلهة ، أو أنّه نُذِر لأحد الملوك الموتى . وكان المعبد الذي بُنِيَ على شرف ( آمون- رع)في الكرْنكْ أكبر المعابد في البلاد ، به أكثر من مائة وثلاثين عمودا، بلغ طول الواحد منها 25م ، وقد زُيِّنت أعمدة وجدران القاعة الكبرى -التي ما تزال أكبر قاعة ذات أعمدة بنيت حتى الآن -بلوحات ملونة رائعة الجمال.

كانت مهمة الكاهن الأساسية خدمة المعبود أو الملك الذي يمثِّله تمثال في المعبد. ويُعدُّ الملك الحاكم رئيس كهنة مصر.

- الحياة الآخرة: آمن المصريون القدامى بإمكانية التمتع بالحياة بعد الموت، وقد أدى هذا الاعتقاد في كثير من الأحيان إلى إعداد تجهيزات كثيلرة للموت والدفن ، ونتج عن هذا بناء الأهرامات والمقابر الكبيرة للملوك والملكات، وكان لبقية الشعب من المصريين مقابر أصغر.

اعتقد المصريون أيضا بضرورة حفظ أجساد الموتى للحياة التالية، ولذلك اهتموا بهذا الأمر فقاموا بتحنيط الجثث ليمنعوا تحللها، وبعد تحنيط الجسدكان يلفُّ بطبقات من قطن الكتّان ، ويوضع داخل التابوت، وتوضع المومياء بعد ذلك داخل القبر.

ملأ المصريون مقابرهم بالأشياء التي ظنوا أنّهم يستخدمونها في حياتهم بعد الموت، كما امتلأت مقابر الأثرياء بتماثيل الخدم اعتقادا منهم بأنّهم سوف يخدمونهم في العالم الآخر. ورسمت مشاهد الحياة اليومية على جدران المقابر، معتقدين أنّ بعض الطقوس التي يؤديها الكهنة يجعل أوزريس باعثا الحياة في هذه المشاهد ، وفي الميت كذلك.

كما اقتنى كثير من المصريين النصوص التي حوت الأدعية و الترانيم وغيرها من المعلومات التي ظنوا أنّها تُوَجّه الأرواح في الحياة بعد الموت وتحفظها من الشر و توفّر لها الاحتياجات.

-العلوم والفنون:

أولا/ الفنون :

1- في مجال العمارة : تعدّ أهرامات مصر أقدم وأكبر منشآت بُنيت من الحجر في العالم. توجد بقايا أكثر من 35 هرماً على طول نهر النيل ، وتعدّ أهرامات الجيزة إحدى عجائب العالم القديم السبع.

بُنيت أولى أهرامات المصريين منذ حوالي 4500سنة مضت ، ويبلغ ارتفاع هرم الجيزة الأكبر 140م، وتغطي قاعدته ما مساحته حوالي خمسة هكتارات من الأرض. بُني هذا الهرم بأكثر من مليوني كتلة من الحجر الجيري، يبلغ متوسط وزن الواحدة 2.3 طن متري.

بنى المصريون كذلك المعابد من الحجر الجيري وشكّلوا أجزاء المعبد على هيئة لِبنات، فعلى سبيل المثال نُحتت الأعمدة في بعض المعابد على شكل أشجار النخيل أو قصب البرْدي. وكان المعبد يتكوّن من ثلاثة أجزاء : معبد صغير ، وقاعة كبرى فيها عدد من الأعمدة وفناء مفتوح.

2- في مجال الفن التشكيلي والنحت: كما أسلفنا الاشارة كانت معظم اللوحات الملونة والرفيعة من الأعمال الفنية تغطى بها جدران المقابر و المعابد لاعتقاد المصريين أنّ المشاهد التي تحملها هذه اللوحات تُبْعَثُ فيها الحياة في العالم الآخر؛ ولهذا لم يكتف أصحاب المقابر بتصوير أنفسهم وهم وهو يبدون صغار السن وجذّابين بل صوّروا أنفسهم في أجواء مريحة تمنوا أن يستمتعوا بها في حياتهم بعد الموت.

زيّن النحاتون في مصر القديمة المعابد بمنحوتات تصوِّر الاحتفالات والانتصارات العسكرية وغيرها من الأحداث المهمة، كذلك نحتوا تماثيل الكائنات الخرافية من الحجر. ويُفترض في هذه التماثيل أنّها تمثّل الملوك المصريين أو المعبودات. وتستخدم في حراسة المعابد والمقابر. فأبو الهول مثلا يعتقد أنّه يمثِّل إما الملك ( خَفْرَع) أو معبودهم (رَعْ) ، ولهذا التمثال العجيب رأس إنسان وجسد أسد ويبلغ طوله 73م وارتفاعه 20م . نُحتَ أبو الهول الذي يوجد بالقرب من الهرم الأكبر في الجيزة منذ نحو 4500 سنة.

هذا وقد صنع النحاتون تماثيل صغيرة من الخشب والحجر والمرمر والعاج والبرونز والذهب والفيروز، وكانت المواضيع المفضلة لمنحوتاتهم القطط التي اعتبرها المصريون مقدسة وتكتس أهميتها لأنّها توفّر الحماية لمحاصيلهم من الفئران.

3- مجال الموسيقى والأدب: استمتع المصريون بالموسيقى والغناء واستخدموا القيثارة والعود وغيرها من الآلات الوترية أثناء الغناء. وكانت أغاني الحب المصرية شاعرية وأكثر عاطفة.

ألّف الكتّاب العديد من القصص التي تصوّر الشخصيات والمشاهد أو الأحداث الخيالية. وكان الهدف منها المتعة والتسلية ، ومن الكتابات أيضا مقالات حول العيش الطيب سموها ( الارشادات).

ثانيا / العلوم:

استطاع المصريون تسجيل ملاحظات في الفلك والجغرافيا ساعدتهم في تطوير تقويم سنوي يتكون من 365يوماً. اعتمد التقويم على الفيضان السنوي لنهر النيل ، الذي كان يبدأ مباشرة بعد ظهور نجم الشِعْرى اليمانية على الأفق الشرقي مرة واحدة بعد أن كان مختفيا لعدة شهور. ويتمّ ذلك في نحو 20يونيو من كلّ سنة .

ولقد ساعد هذا التقويم المصريين على تحديد معظم تاريخهم، والمادة المؤرخة من مصر القديمة ساعدت الباحثين ليؤرخوا لأحداث في أماكن أخرى من العالم القديم. كما استطاع المصريون القدامى قياس المساحات والمسافات والأحجام والأطوال والأوزان، واستخدموا الهندسة لتقرير حدود المزارع واعتمدت الرياضيات على نظام ليس به أصفار.

أما بالنسبة إلى الطب ، فقد كان الأطباء المصريون القدامى أول الأطباء الذين درسوا الجسم البشري بطريقة عملية ، ودرسوا بنية الدماغ، وعرفوا أنّ النبض متّصل بالقلب بطريقة ما، كما تمكنوا من جبر العظام المكسورة، والعناية بالجروح ومعالجة عديد من الأمراض، كما تخصص بعض الأطباء في ميادين معينة من الطب كخلل العيون وآلام المعدة.

المحاضرة الثالثة: حضارة بلاد الرافدين

- دويلات المدن في عصر فجر السلالات :

أُطلق على المدة الواقعة ما بين ( 2800-2370 ق.م) (بعصر فجر السلالات) لأّنه شهد ظهور أولى السلالات الحاكمة المتمثلة بدويلات المدن السومرية في جنوب العراق مثل لكش، أويدو، الوركاء، أور، نفر وكيش، وغيرها. وكانت كل واحدة تتألف من مدينة مركزية هي العاصمة ويتبعها مدن أخرى وعدد من القرى والأرياف (الاراضي الزراعية ) ، وقد تمتعت المدن السومرية بالاستقلال في تصريف شؤونها . ومن أشهر ملوك هذا العصر (جلجامش)الذي اشتهر بملحمته المعروفة بـ ( ملحمة جلجامش) ، وهي من أقدم الملاحم في تاريخ الحضارات القديمة ، تدور حول البطل جلجامش أحد ملوك الوركاء القدماء فتصف مغامراته وأسفاره مع صديقه (أنكيدو)، الذي بموته فزع جلجامش وعزم على البحث عن الخلود ، وبعد أسفار ومشقات عرف أنّ الذي يطلبه عبثاً؛ لأنّ الخلود من صفات الآلهة وأنّ مصير البشر الموت ، وأنّ الأعمال العظيمة هي التي تخلِّد البشر ، عندها أمر بترميم أسوار مدينة الوركاء ، هذا الذي عُدّ من أبرز انجازات جلجامش.

وكانت بلاد الرافدين تتكون في هذا العصر من وحدات سياسية صغيرة تسمى ( دويلات المدن ) ولكل دويلةٍ ملك أو حاكم وكاهن خاص بها. وكان الحكم وقت ذاك ينتقل من الأب إلى أبنائه من بعده.

- نظام الحكم: لا نعرف نظام الحكم الذي كان سائدا في بلاد الرافدين في العصور التي سبقت ظهور الكتابة أي في عصور قبل التاريخ. غير إننا نعرف من الوثائق السومرية أنّه كان يحكم في كل دويلة من دويلات المدن أمير يسمى بالسومرية ( أنسي )، وكان الأمير يستعين بعدد من الحمام والإداريين والمفتشين والجباة في إدارة دويلة المدينة ، وقد جرت محاولات عديدة في عصر فجر السلالات لتوحيد دويلات المدن في دولة كبيرة واحدة وقد نجح بعض الامراء السومريين فعلا ولو لمدة قصيرة ، بفرض سيطرتهم على بقية المدن وتوحيد القسم الأكبر من البلاد. ونتيجة لمثل هذا الانجاز السياسي والعسكري فقد اطلق على هؤلاء الامراء لقب ( لوكال) أي "الملك"ويعني بالسومرية " الرجل العظيم"، ويعدّ الملك سرجون الأكدي من أشهر ملوك العراق القديم ، ومن أبرز انجازاته:

1- قام بتوحيد وسط وجنوب بلاد الرافدين في دولة واحدة، ويعدُّ مؤسس الدولة الأكدية.

2- اتخذ مدينة أكَدْ عاصمة له ، غير أن التنقيبات الأثرية لم تعثر على موقع هذه المدينة حتى يومنا هذا، ويُظن أنها تقع وسط العراق بالقرب من مدينة " الحلة " الحالية.

3- لم يلبث أن توسع على الأقاليم المجاورة وضمها الى مملكته، وبذلك أسس أو إمبراطورية في العالم القديم.

وأعقبه في الحكم ولداه وبعدهما حفيده نيرام سين( 2260-2223 ق.م) ، الذي يعدّ من أعظم ملوك السلالة الأكدية ، ومن أهم أعماله بناء القلعة الحصينة على نهر الخابور لحرصه على تقوية حدود مملكته، وكان يلقب بملك الجهات الأربع وذلك للرقعة الواسعة التي شغلتها الامبراطورية الأكدية ، فقد ضمت تحت لوائها أقواما مختلفة وآلهة متعددة، وقد فرضت هذه الفترة عليه أن يحكم دولته وفق مفهوم سياسي لا ديني، لكي تتمكن كل منطقة من مناطق الامبراطورية بالاحتفاظ بقوميتها وآلهتها.

- التشريعات والنظم السياسية والإدارية:

اهتم الحكام والملوك كثيرا بتنظيم حياة المجتمع وحماية الحقوق وذلك عن طريق تشريع القوانين التي تحدد واجبات المواطن وتحقق نشر العدل بين أبناء المجتمع كافة؛ بحيث لا يستغل القوي الضعيف ولا يعتدي الغني على حقوق الفقير، هذه القوانين راعت بنحو كبير حقوق الانسان وحمايتها من اعتداء الآخرين.

وإنّ أولى الاصلاحات الاجتماعية في العالم القديم جاءتنا في عصر فجر السلالات السومرية في وثيقة تعود إلى آخر أمراء سلالة لَكْشْ الأولى ( أوروانمكينا )الذي حكم في حدود عام( 2400ق.م)، إذ نجد في هذه الوثيقة تفاصيل كثيرة عن الاحوال الاجتماعية للمواطنين في دويلة لكش قبل تسلمه الحكم، وتعدّ هذه الاصلاحات من أقدم الاصلاحات التي عرفتها بلاد الرافدين وأهم ما جاء فيها:

أ- أنّ المواطن السومري كان مثقلا بالضرائب التي فرضها عليه الامراء الذين استولوا على الأراضي الزراعية بصورة غير شرعية.

ب- إلغاء الكثير من الضرائب، وأعاد الى الفقراء حقوقهم المشروعة ولاسيما حقوق الانسان العامة وحرياته، وكذلك حقوق المرأة وواجباتها ، وهذا دليل على إيمان الانسان العراقي بالنزاهة.

أما أقدم القوانين المكتشفة حتى الآن في بلاد الرافدين بعد إصلاحات (أوروانمكينا) هي الآتي:

1- قانون (أور نَمُو) مؤسس سلالة أور الثالثة أواخر الالف الثالثة قبل الميلاد، وهو مدون بالسومرية.

2- قانون (لبْت عشتار) خامس ملوك سلالة (أيْسن) التي أسسها الأموريون (2017-1794ق.م) في القسم الجنوبي من العراق ، وهو مدون باللغة السومرية أيضاً.

3- قانون مملكة ( إيشنونا) أوائل الألف الثاني قبل الميلاد. وقد عثر على هذا القانون في تل حرمل ( الواقع في بغداد الجديدة ) . وهو مدون باللغة البابلية القديمة . ويجب حماية هذه الآثار ودرجها ضمن قائمة التراث العالمي.

4- قانون ( حمورابي ) ( 1792-1750ق.م) سادس ملوك سلالة بابل الأولى ، وهو مدون باللغة البابلية على مسلة من حجر البازلت موجودة الآن في متحف اللوفر في باريس، وتعرف بمسلة حمورابي وتحتوي على 282 مادة قانونية .

وتعد مسلة حمورابي أنضج وأكمل القوانين العراقية القديمة، وهي جزء مهم من العطاء الذي قدمته العراق للحضارة الانسانية على صعيد الفكر والقانون وبناء الدولة وتنظيم العلاقات الاجتماعية واحترام حقوق الانسان.

- الفكر الديني في حضارة بلاد الرافدين :

تعدّ عبادة الظواهر الطبيعية ( المطر، الريح، الخصب، الشمس القمر ..وغيرها ) من أولى المعتقدات الدينية في العالم القديم وأولى المعبودات التي اعتنقتها المجتمعات البشرية ولها علاقة بالزراعة ، وكانت على هيئة آلهة تمثل الأرض والخصوبة والظواهر الطبيعية ذات العلاقة بالزراعة ، وأهم مميزات المعتقدات الدينية قديما هي:

أ- مبدأ الشرك: ونقصد به تعدد الآلهة عند العراقيين القدماء ، فقد عبدوا العديد من الآلهة وسجلت أسماءها في جداول خاصة ، وأوضحوا علاقة بعضها ببعض فهناك الاله (أنو) اله السماء، والإله (أنليل) اله الهواء، والإله ( انكي أيا ) إله المياه ، والإلهة ( عشتار) رمز الحب والحرب ، وآلهة أخرى للظواهر الطبيعية مثل إله الشمس ( شمس) الذي يرمز للعدل ، وإله القمر (سين) الذي يرمز للحكمة . كما اعتقدوا أنّ لكل انسان إلهاً خاصاً به أطلقوا عليه الاله (الحامي) .

ب- مبدأ التشبيه: أنّ حياة الآلهة شبيهة بحياة وصفات البشر، فالآلهة تشابه صفات البشر المحسوسة كالصورة و الأعضاء، وغير المحسوسة كالفكر والرأي والعواطف، كما اعتقدوا بأنّ لكل إله حاشية تتألف من الزوجة والأولاد، وإنّ للآلهة مجالس شورى تعقدها لتقرير شؤون الكون عن طريق المناقشة.

ج- مبدأ الخلود: اعتقد العراقيون القدماء بأنّ الآلهة تشبه البشر في حياتها وصفاتها ولكنها تختلف عنهم في صفة أساسية وهي الخلود أي إنّها لا تموت بخلاف البشر الذين تنتهي حياتهم بالموت في حين قدّس المصريون

القدماء ملوكهم، إذ اعتبروهم آلهة يعبدون في أثناء حياتهم وبعد مماتهم لذلك حرصوا على حفظ أجسام ملوكهم ( الفراعنة ) محنطة في القبور.

د- مبدأ التوحيد: وهو عبادة الله الواحد الأحد سبحانه حيث ظهر العديد من الانبياء والرسل ( عليهم السلام) في العراق ومنهم إبراهيم الخليل ( عليه السلام ) أبو الانبياء حيث ولد في مدينة أور جنوب العراق وساهم في نشر ديانة التوحيد وأعاد بناء الكعبة الشريفة وتعد الديانة المندائية أقدم ديانة توحيدية انتشرت في جنوب بلاد الرافدين.

- المعابد: تمتعت المعابد بأهمية بالغة في حياة المجتمعات القديمة، فضلا عن مزاياها الدينية، وكانت لها علاقة وثيقة بشؤون الناس الدنيوية ومركز للقضاء بين الناس، ومكانا للتعليم، ودُورا لحفظ السجلات ومصرفاً لإيداع الاموال والنفائس إضافة إلى ممارسة الطقوس والشعائر الدينية فيها.

ويمكن تقسيم المعبد في بلاد الرافدين إلى قسمين منفصلين يسمى أحدهما المعبد العلوي ويطلق عليه ( الزقورة ) أما القسم الثاني فهو المُشيَّد على الأرض قرب الزقورة ويسمى المعبد السفلي ، وكانت تقام فيه الصلوات والشعائر الدينية ، ويتألف من عدد من الحجرات أهمها حجرة الهيكل، وتوجد فيها دَكَّةُ القرابين( المذبح)، حيث تنحر الذبائح قربانا للآلهة. وفيها يوجد تماثيل للآلهة وهي أقدس مكان في المعبد.

تعريف الزقورة : هي بناء يتكون من عدة طبقات ويقوم فوق أعلى الطبقات معبد صغير يحلّ فيه إله المدينة في طريق نزوله من السماء إلى معبده الكبير المشيد على الأرض.

- الحياة الاقتصادية والاجتماعية:

1-الحياة الاقتصادية:

أ- الزراعة: اعتمدت الحياة الاقتصادية على الزراعة في بلاد الرافدين ، والتي ازدهرت بفعل توفر المياه والتربة الخصبة والمناخ الملائم ، وهذا يبيّن أهمية البيئة في تطور المجتمعات، وقد شقّ السكان القنوات والترع والسدود، واهتموا بوسائل الري والزراعة واستخدموا أدوات معدنية من البرونز لغض القيام بعمليات الزراعة واشتهروا بزراعة القمح والشعير والسمسم والأرز والقطن والنخيل، إذ تحتل زراعته موقع الصدارة بين أشجار بلاد الرافدين.

وكانت الزراعة في بداية الأمر محدودة للاكتفاء الذاتي ثمّ تطورت وأخذ الانسان ينتج أكثر من حاجته الذاتية فبدأ بتبادل محاصيله الفائضة مع المزارعين الآخرين فكان ذلك بداية التجارة والتخصص في العمل.

ب- الصناعة:لا ريب أنّ توفر المواد الأولية ساعد على قيام صناعات متنوعة في بلاد الرافدين فكان الحجر في البداية المادة الأساسية لها، ثمّ تمكن الانسان من استخدام الطين في صناعة مختلف الأواني الفخارية بعد أن توصل الى صناعة دولاب الفخار، الذي اعتمد أساسا لاختراع العجلة . كما تعلم العراقيون صناعة الغزل والنسيج والملبوسات والجلود والزيوت والخزف والزجاج . ومنذ أن حلّ الالف الثالث قيل الميلاد وهو مطلع العصور التاريخية برعوا في صناعة القطع الفنية كالتماثيل والمسلات، والاختام الاسطوانية . ويزخر المتحف الوطني العراقي بالكثير من القطع الفنية الأثرية.

ج- التجارة: كان لموقع العراق المميز أثره الواضح في نشوء التجارة الخارجية وتطورها وازدهارها. فهو يقع عند ملتقى الطرق التجارية الرئيسة التي تصل بين الخليج العربي وبلدان البحر الأبيض المتوسط ونتيجة لافتقاره إلى بعض المواد الخام الضرورية كالأحجار والمعادن والأخشاب دفع العراقيون القدماء للعمل من أجل توفير تلك المواد من الخارج.

وقد نشطت الحركة التجارية مع بلدان العالم في العصر البابلي القديم، حيث قام البابليون بتأمين طرق المواصلات والقوافل.واستخدموا المعادن الثمينة كالذهب والفضة في تقدير قيمة البضائع. وكان الكهنة من أثرياء التجار .

د- دور قدماء العراقيين في ابتكار النقود:

عاش الانسان القديم لآلاف السنين دون نقود، إذْ سكن الكهوف والمغارات وقطف ثمار الاشجار وجمع البذور واصطاد الحيوان، دون أن يدفع ثمنا لذلك. ولكن عند انتقاله الى حياة المستوطنات عرف أولى خطوات الاقتصاد عندما عرف المقايضة : وهي عملية استبدال سلعة بسلعة أخرى فكان الفائض لدى الانسان من الحبوب يذهب به الى السوق لإبداله بالسمن واو الجلود مثلا.ولأنّ المقايضة لم تلبِّ رغبات الانسان القديم فقد أنتقل الى السلعة الوسيطة ، وهي تحديد سلعة معينة تكون ثمناً لبقية السلع. وفي العراق القديم استخدمت الحبوب( الشعير) والمعادن ( الفضة) سلعاً وسيطة وهو ما ذكرته القوانين العراقية التي سلف الحديث عنها . على أنهم فضلوا الفضة على الحبوب وهنا ظهر ( الشيقل الفضي ) وكان وحدة للوزن عند السومريين و الأكديين والبابليين والآشوريين . وفي عهد الملك الآشوري ( سنحاريب) ( 705-681ق.م) الذي أمر بصنع قوالب للشيقل ونصف الشيقل ، وكان الشيقل مألوفا في الحضارات الأخرى مثل الليديين في بلاد آسيا( تركيا حاليا) حيث كانت التجارة عندهم مزدهرة، وتقع معظم مدنهم على السواحل البحرية واستخدمت موانئ تجارية .

إذن تحول الشيقل من وحدة للوزن الى وحدة للنقد بعد أن حُدد شكله ووزنه وحمل نقشا على هيئة كف وسمي بـ( رؤؤس عشتار ) ، وبذلك يكون قدماء العراق قد قدموا خطوة أخرى من خطوات الحضارة الانسانية جمعاء كالكتابة والملاحم والهندسة والفلك.

2- الحياة الاجتماعية:

كان المجتمع العراقي القديم كما هو الحال بالنسبة للمجتمعات القديمة يتألف من عدة شرائح اجتماعية منها الفئة الحاكمة المتنفذة والمسيطرة على البلاد سياسيا واقتصاديا ودينيا. والفئة المحكومة التي ضمت عامة الناس والعبيد.

وكانت الاسرة تضم الزوج وزوجته والأبناء والبنات وكانت المرأة في المجتمعات القديمة تحظى بمنزلة مرموقة وتساهم في أعمال كثيرة فضلا عن الاعمال المنزلية وتربية الاطفال .

وقد حرص الاجداد القدماء على إرسال أبنائهم الى المدارس لتعلم القراءة والكتابة كما حرصوا على تعليمهم الفنون والمعارف والصناعات المختلفة. وكان المجتمع القديم يتألف من ثلاث طبقات هي:

أ- الطبقة العليا: التي تمثل الملك وحاشيته وحكام الولايات وقادة الجيش وكبار الاداريين ورجال الدين.وكانت هذه الطبقة تتميز بنفوذها الاجتماعي وقدرتها المالية .

ب- الطبقة الوسطى: وتمثل عامة أفراد لشعب.

ج- طبقة العبيد: تمثل الأفراد الذين كانوا في خدمة الطبقتين على أنّ الظروف التي دفعت بهؤلاء الى أن يكونوا تحت أمرة الآخرين يجب أن لا تؤدي إلى مصادرة حقوقهم كما تنص على ذلك القوانين .

# المحاضرة الرابعة : الحضارة الفينيقية

نبذة تاريخية :

فينيقيا هو الاسم الذي أطلقه قدماء الإغريق على الاقليم الذي يحتلّه الآن المناطق الساحلية من سوريا ولبنان وفلسطين المحتلة، ويمثّل النهر الكبير الحدود الشمالية له، بينما يشكّل جبل الكرمل حدوده الجنوبية، كذلك يحدّه جبال لبنان من الشرق والبحر الابيض المتوسط من الغرب.

لا يعرف تحديدا أصل كلمة فينيقيا ، ويبدو أنها قد تطورت من كلمة كنعان،التي تعني بلاد الأرجوان وهو الاسم الذي أطلق في البدء على بلاد سوريا وفلسطين.

كانت كنعان مصدرا للأرجوان الأحمر ويعتقد البعض أن الإغريق ربما يستخدموا لفظة فوينيك التي تعني الارجوان الأحمر إشارة الى المجموعة التي كانت تتاجر معهم في هذا الارجوان لكن هناك من لا يقبل هذا التأويل. وفي النهاية أصبحت فينيقيا اسما للشريط الساحلي لبلاد كنعان .

كان الفينقيون من أشهر شعوب العالم القديم، فقد كانوا بحارة مهرة وملاّحين و تجار، وقد سجّل لهم التاريخ إنجازين:

- كانوا من أوئل من أرسلوا مكتشفين، وأقاموا مستعمرات على امتداد منطقة البحر الابيض المتوسط وما وراء مضيق جبل طارق.

تطورت الأبجدية الإغريقية من الأبجدية الفينيقية، ثمّ تطورت الأبجدية الرومانية وكل الابجديات الغربية من الاغريقية.

-أنماط المعيشة :

ليس من السهل التمييز بين الفينيقيين والشعوب الأخرى التي عاشت في بلاد كنعان قبل أن يفد بنو إسرائيل هناك.ولهذا يعرف الفينيقيون في العهد القديم بالكنعانيين وكثيرا ما يشار إليهم بالصيداويين نسبة إلى مدينة صيدا الفينيقية . ويُدرك العلماء أنّ مدينة أوغاريت مدينة الفينيقيين الشمالية والتي تقع في غربي سوريا كانت على اتصال بحضارة (كريت) منذ 1900 سنة قبل الميلاد ، وهي رأس شَمُرَا حاليا، وتعتبر أهم المدن الفينيقية نظرا موقعها الجغرافي.

من المدن الفينيقية أيضاً:

1-جِبيل : وهي أقدم مدينة مأهولة في العالم ومصدر الأبجدية الفينيقية .

2- صُور: ويعود تأسيسها إلى الألف الثالثة قبل الميلاد، وقد غدت منذ أواخر الألف الثانية قبل الميلاد من أكثر المدن الفينيقية صيتاً وشهرة.

3- أَرْواد: وهي الجزيرة الوحيدة المأهولة على الشاطئ الشرقي للمتوسط في سوريا.

4- طرابلس: ( تريبولي) وقد عُرفت بهذا الاسم اليوناني الأصل لأنها كانت تتألف من ثلاث مدن صغيرة أو أحياء خاصة بالصوريين والأروادين والصيداويين.

5- صيدا: أو صيدون وتعتبر من المدن المهمة.

6- جِبلَة: ميناء مملكة سيَانْوَا.

هذا وهناك عدة مدن أخرى بنوها في لبنان وسوريا وفلسطين، وكان لكل مدينة مرفآن أحدهما شمالي والآخر جنوبي ليسهّل الاتصالات بين المدن. وقد أقامت المدن الكنعانية الفينيقية علاقات تجارية وثقافية مع مصر وبلاد الرافدين، وكانت هذه العلاقات تقوم على أساس المودة.

- نظام الحكم:

كان نظام الحكم عند الفينيقيين ديمقراطيا، وكان لكل مدينة حكومة خاصة بها يترأسها ملك أو حاكم يحكمها بالوراثة، سلطته مقيدة، يساعده في إدارة الحكم مجلسان هما:

مجلس تمثيلي: وهو عبارة عن هيئة من المشرّعين.

ومجلس الأشراف: ويتكون من الاغنياء إضافة الى الكهنة الذين كان لهم دور كلبي في إدارة دفة الحكم.وقد شكلت مدن (صور، جبيل، أرواد ) إتحادا اقتصاديا مركزه طرابلس التي كانت تُعقد فيها المؤتمرات العامة للتداول في الشؤون الاقتصادية والمشاكل المشتركة، والعمل على ضبط الاستقرار الداخلي كي تؤمن مصالح كلّ منها وقلما كانوا يناقشون الامور السياسية.

- الديانة:

قامت الديانة الفينيقية على عبادة قوى الطبيعة كالشمس والقمر والأرض والسماء والبحر والمطر والبرق والرعد والعواصف.

وجعل الفنيقيون لكلّ من الحرب والزراعة والملاحة والصيد إلهاً دُعِي بالبعل ، إضافة الى أنّهم ألّهوا ملوكهم وأبطالهم واعتقدوا بالتثليث الالهي (أب،أم، ابن) . وكان الاله( إيل) في مرحلة متقدمة حاضرا في كلّ شيء حتى أصبح الفينيقيون يُعتبرون أول شعب آمن بالإله التوحيدي (إيل).

من أشهر آلهتهم: (إيل) وهو سيد الآلهة وهو رب الخصب والنماء.

وأدونيس وهو اله الشمس والحياة، ومركز عبادته الرئيس في جبيل وعشيقته عشتار إلهة الحب والخصب والجمال، وكانت عبادتهما منتشرة في كلّ المدن الفينيقية.

وأشمون اله الصحة وارتبطت عبادته بصيدا، ورَشفْ اله البرق والرعد والنور.

وداعون اله الزرع والنبات، وموت اله الموت .

-الهياكل:

أقام الفينيقيون المعابد تمجيدا لآلهتهم ، زكان أشهرها معبد أدونيس وعشتار في مغارة أُفْقَا "منبع نهر إبراهيم في جبيل. وكان الهيكل يتألف من ثلاثة أقسام هي:

-القسم الداخلي: موضع الاله وعبادته.

-القسم الخارجي: وهو المعبر إلى الداخل.

-الساحة العامة: زكانت مساكن الكهنة والموظفين إلى جانبها.

كان الفينيقيون يقدّمون الى الآلهة الضحايا البشرية في الأوقات العصيبة ويستبدلونها في بعض الاحيان بالحيوانات، التي كانت دماؤها تُصَبّ على الانصاب ولحومها تحرقُ على المذابح اعتقادا منهم أنّ دخانها يشبع الآلهة ويرضيها. وكانت الصلوات والدعوات والرقص والترانيم تُقام على يد الكهنة .

- الحياة بعد الموت:

لم يعتقد الفينيقيون بالحياة الثانية، إنما كانوا يعتقدون أنّ الروح لا تفنى بعد الممات، وإنما تستقر في حالة هدوء وسكون قريبة من الجسد؛أي من صاحبها. وكانوا يدفنون ملوكهم ونبلاءهم في نواويس حجرية، بينما يدفنون العامة في توابيت خشبية. وقد وضعت هذه النواويس والتوابيت في أماكن آمنة حتى لا تنالها أيدي

اللصوص.وكان اسم الميت يُنقش على قبره، وكان أهل الفقيد وأقاربه يزورونه من حين إلى آخر حاملين له الورود والطعام والشراب ظنا منهم بأنّ روحه تُسرُّ بذلك .

- علوم الفينيقيين وفنونهم وآدابهم :

أ- طرق الكتابة قبل اكتشاف الابجدية الفينيقية : قبل اكتشاف الابجدية الفينيقية في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، كان العالم القديم يعتمد في الكتابة طرقا مختلفة، فقد ظهرت الكتابة لأول مرة في كلٍّ من مصر وبلاد

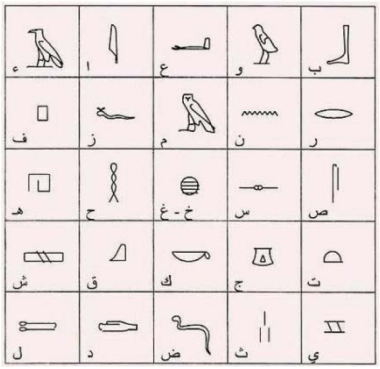

1. الكتابة الهيروغليفية

الرافدين في أوائل الالف الثالث قبل الميلاد، وجاءت هذه الكتابات تصويرية "هيروغليفية" في مصر، ومسمارية في بلاد ما بين النهرين، ثمّ تطورت كلّ من الكتابيتين إلى مقاطع صوتية ثمّ إلى صوت حيث وُضع له شكل أو حرف حتى بلغ عدد حروف هذه الأبجدية 24 حرفاً في أوائل الألف الثانية قبل الميلاد.

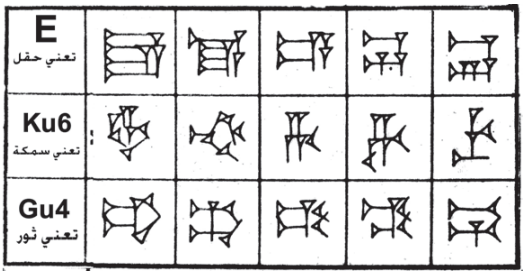


2. الكتابة المسمارية

ب- الأبجدية الفينيقية: تعتبر الأبجدية الفينيقية أهم المنجزات الحضارية وأعظم ما قدّمه الفينيقيون من خدمات الى العالم، وأشهر الأبجديات أبجدية أوغاريت، وهي أكمل الأبجديات.

إذاً، فقد عُرف الفينيقيون بتلك الكتابة المقطعية الصوتية، وكان لابد من تطويرها، ومن استنباط كتابة جديدة تتفق ومتطلباتهم الحياتية والاجتماعية وخالية من التعقيد واللبس. وقد وضعوا لها القواعد الى أنْ أخرجوها كتابة مؤلفة من اثنين وعشرين حرفاً، فاستعملوها ونشروها في العالم.

## 3. الكتابة الفينيقية

وتعدُّ الأبجدية السينائية وقد اكتشفت نصوصها في سيناء إحدى المحاولات التي قام بها الكنعانيون للانتقال من الكتابة التصويرية المقطعية الى الأبجدية .

-العلوم:

كان للأبجدية والاكتشافات الفينيقية والرحلات الجغرافية، والصناعات، والمستعمرات التي أنشأها الفينيقيون في مختلف أنحاء البحر الابيض المتوسط الأثر الهام في تاريخ الشعوب القديمة عامة.

فقد اشتهر الفيفيقيون وخاصة الصوريون والأوغاريتيون بالعلوم لاسيما علم الفلك والحساب الضروريين في الملاحة والتجارة. وكان القرطاجيون أول من أصدر أوراق النقد على جلود الحيوانات واستنبطوا خطوط الطول ودوائر العرض ووضعوها على خرائطهم لتحديد مواقع مستعمراتهم ومحطاتهم التجارية. واكتشفوا النجم القطبي الشمالي لتحديد الجهات.كما ساهموا في تطور الجغرافيا نتيجة رحلاتهم الاستكشافية حول أفريقيا وعبورهم مضيق جبل طارق والبحار والمحيطات، التي أكسبتهم معرفة بأحوال القارة السمراء من حيث المناخ، وكذا النبات والسكان وأحوال معيشتهم وعاداتهم وتقاليدهم. وحسب العلماء المؤرخون فإنّ الفينيقيين قد وصلوا بسفنهم الى السواحل البريطانية وربما إلى القارة الأمريكية قبل أن يكتشفها كريستوف كولومبوس ولوحة بارا إبا (Paraiba )تثبت ذلك وقد وجدت في البرازيل.

- الفنون :

جاء الفن الفينيقي في الألف الثالث قبل الميلاد مقلّداً لعدة فنون خارجية كالقبرصية والماسينية والإيجية والمصرية والرافدية، إلى أن أصبح في الألف الأول قبل الميلاد محرراً من الاقتباس والتقليد، متخذا طابعاً خاصاً . وقد تجلى فن الخلق والإبداع والإتقان في الصباغ الأرجواني الذي استخرج من الصدف واستخدم في صناعة الأقمشة المطرزة التي نالت شهرة عظيمة في العالم القديم .

كما تفننوا في صناعة الخزف وصناعة النقود والأختام وأدوات الزينة التي شملت الحلي المطعمة بالعاج والذهب والحجارة الكريمة. هذا إضافة إلى الرسم والنقش على الخوف والخشب والمعادن والنحت.

أما في البناء فقد تجلت براعتهم في هندسة القصور والهياكل والسفن التجارية والحربية، فضلا عن اهتمامهم بالموسيقى والغناء وتطويعها في الطقوس الدينية. وكان العود إحدى الآلات الموسيقية التي استعملها شعوب كثيرة.

-الآداب:

كان لاكتشاف مدينة أوغاريت- "رأس شمرا" حاليا في سوريا سنة 1929 - الأدبية الدينية أثر هام في معرفة التراث الأدبي الفينيقي، فالملاحم الأدبية الدينية (ملحمة بعل) التي كُتبت في القرن الرابع عشر بالأبجدية الأوغاريتية تعتبر انعكاسا للنشاط الأدبي في هذه المدينة، إضافة إلى العديد من من الألواح الحجرية التي خُطت بالمسمارية والتي وُجدت في أوغاريت، وتضمنت علوما وآداباً وفنوناً وأدياناً لمختلف أنواع حضارات الشعوب القديمة تعود الى الانتاج الفكري الفينيقي .وهذا على عكس ما قاله المؤرخون القدماء من اليونان والرومان والمصريين والبابليين والآشوريين في كتاباتهم أنّ الشعب الفينيقي شعب تجاري وفقط.

المحاضرة الخامسة: حضارة ( الاغريق ) اليونان

- نبذة تاريخية :

تقع هذه البلاد في الزاوية الجنوبية الشرقية من قارة أوربا وموقعها هذا جعل منها أقرب الى مناطق المراكز الحضارية في بلاد الرافدين وبلاد النيل وبلاد الشام.

والأقوام اليونانية كانت تسكن مناطق المراعي والواحات في جنوب روسيا الى بحر قزوين ومنها هاجروا إلى بحر قزوين ومنها إلى بلاد اليونان بنحو الألف الثاني ق.م .

واليونانيون هم الاغريق شهدت بلادهم ولادة حضارة عريقة منذ ما يقرب من 2500 سنة مضت، وما تزال الانجازات الرائعة للإغريق القدماء في ميادين الحكم والعلم والفلسفة والفنون تؤثر في الحياة اليوم، لاسيما في الحضارة الاوروبية الحديثة التي استمدت منهم الكثير من ثقافتها.

تطورت حضارة الاغريق بشكل رئيسي في الدول - المدن الصغيرة - وكانت الدولة المدينة الصغيرة تتكون من مدينة أو بلدة كبيرة بالإضافة الى القرى والأراضي الزراعية المحيطة بها، قامت في هذه الحضارة حكومات ديمقراطية ومن أشهر تلك الدول أثينا واسبرطة .

لم يُقَدر للمدن الاغريقية أن تتوحد في أمة واحدة بالرغم من وجود لغة عامة وديانة وثقافة كانت تربط بين السكان . سمى الاغريق أنفسهم بالهيلينيين كما سموا أراضيهم باسم هيلاس، وكانوا يعتقدون أنهم مجموعة مختلفة عن غيرهم من الشعوب الأخرى، التي كانوا يطلقون عليهم اسم البرابرة ( الهمج).

اهتم الاغريق بحريتهم وطريقة حياتهم التي أكدت على أهمية الفرد، وشجعت الأفكار الإبداعية حيث أوجد المفكرون الإغريق أُسسا للعلم والفلسفة وذلك عن طريق البحث في التفسيرات المنطقية لما يحدث حولهم في العالم، كما ابتدع الكتّاب أشكالا جديدة للتعبير تحاول استكناه الشخصيات والعواطف الانسانية. هذا ولقد وصلت الحضارة الاغريقية ذروتها في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد حتى عرفت هذه الفترة بالعصر الذهبي.

- العهود التاريخية في اليونان:

ينقسم التاريخ اليوناني الى العهود الآتية:

أ- عهد الملوك: 1100-750ق.م : وهو من أقدم العهود وفيه أصبح لليونانيين ملوكا مختارين من القادة العسكريين. ويساعد الملك مجلس شورى لفض النزاعات بين الناس.

ب- عهد النبلاء: 750- 625 ق.م : وهذا العهد سيطر النبلاء على الأراضي الزراعية، وبعد مدة قصيرة تمكنوا من السيطرة على البلاد واستبدلوا النظام الملكي بنظام النبلاء.

ج- عهد الطغاة: 625- 525 ق.م: ازدهرت الصناعة في هذا العهد وتزايد الطلب على البضائع وازدادت ثروة أصحاب الصناعات، حتى تمكنوا من إلغاء النظام السابق، وإقامة نظام الطغاة وأشهر حكامه( دريكو وصولون) .

د- عهد الديمقراطية 525- 431 ق.م :

أصبحت البلاد في هذا العصر تُدار من قبل مجلس يسمى بمجلس الخمسمائة . وكان هذا المجلس يدير شؤون البلاد ويُشرف على الموظفين وإصدار الاوامر، وهو شبيه بمجلس البرلمان والخدمة العامة في الوقت الحاضر.

أحاط بالدولة اليونانية الكثير من الأعداء ومنهم بلاد فارس وقرطاجة ومقدونيا وروما. وحدثت أيضا صراعات بين الدويلات اليونانية مثل أثينا واسبرطة ، وهذه الدويلات قضت الواحدة على الأخرى حتى تمكنت مقدونيا وملكها فيليب الثاني والد الإسكندر الكبير من توحيدها.

- أهم المظاهر الحضارية لبلاد اليونان:

أ- الدين:كان لبلاد اليونان ديانة تشبه ديانة بلاد الرافدين وبلاد النيل وتقوم على تعدد الآلهة وكبيرها الاله (زيوس ) ، كما اعتقد اليونانيون بحياة أخرى بعد الموت يعاقب فيها المسيء ويكرم فيها الصالح، كما اعتقدوا أنّ الآلهة تراقبهم من علٍ وتوجه الحوادث اليومية . وكان لكل دولة آلهتها الخاصة بها أو الاله الخاص بها ، وكانت تقام لها الاحتفالات في كلّ عام تكريما لها، واعتقدوا أنّ لديها إمكانية الإخبار عن المستقبل، لهذا كان النّاس يقصدون المزارات المخصصة ،والتي تعرف بالعَرافات ( هياكل الوحي ) لاستشارة الكهنة، وكانت تلك التي في دَلفي أعظمها. كما يزور المرضى مزارات أسْكَليبْيوس إله الشفاء عندهم.

تشبه الآلهة الاغريقية الكائنات البشرية من حيث إظهارها عواطف مماثلة كالحب والغيرة والغضب. وكان جبل الأولمب مقراً لكبيرهم ، وقد جعلوا (زيوس) و(هيرا) زوجته حاكمي الجبل، الذي ضمّ عدداً من آلهتهم مثل( أفروديت ) إلهة الحب، و (أبولو) إله الموسيقى و (أَرِيس ) إله الحرب، و(أثينا )إلهة الحكمة.

ب- الحياة الثقافية ( العلوم الفنون والفلسفة ) :

1- الفلسفة:

نشأت الفلسفة في بلاد الإغريق خلال القرن السادس قبل الميلاد، وكلمة الفلسفة هي تعريب لكلمة فيلوزوفي الإنجليزية التي تنحدر من كلمتين إغريقيتين تعنيان حب الحكمة.

أثار الفلاسفة الكثير من الأسئلة التي يمكن اعتبارها اليوم مجالا للبحث والدراسة ؛إذ فكر الفلاسفة في جوهر الكون وكيفية عمله ثمّ ناقشوا فيما بعد طبيعة المعرفة، والحقيقة، وبحثوا كثيرا بغية تحديد الخير والشرّ.

اعتبر كل من سقراط، وأفلاطون وأرسطو أكثر الفلاسفة أهمية. وقد كانت دروس سقراط تنصبُّ على مساءلة مستمعيه لإظهار ضعف آرائهم وحججهم ، بينما تناول أفلاطون موضوعات مثل الجمال والعدالة وحسن الحُكم. أما أرسطو فقد لخّص مجمل إنجازات الفلسفة والعلم.

كان القسم الأكبر من أبناء الشعب الإغريقي يكتنفهم الشك حيال الفلاسفة ونظرياتهم، وبالرغم من هذا فإنّ الخرافات والأساطير باتت تحظى باعتقادهم، وفي عام 399 ق.م حكمت هيئة المحلفين الأثينيين على سقراط بالموت لأنّه أبدى استخفافه بآلهتهم المزعومة.

2- العلوم:

اعتقد العلماء الاغريق شأنهم في ذلك شأن الفلاسفة بوجود عالم يخضع لنظام ويعمل وفقاً لقوانين يمكن اكتشافها. وقد بُنيت العديد من النظريات العلمية على المنطق والرياضيات، واستنتجوا الكثير من الملاحظات الدقيقة للطبيعة ، وحققوا بعض الاكتشافات محدودة التأثير في التقنية والحياة اليومية.

قال ديموقراطيس في القرن الخامس قبل الميلاد : إنّ كلّ الأشياء تتكوّن من ذرات، وهي أصغر جزء في المادة لا يمكن أن تنقسم. وكان أريستاركوس في القرن الثالث قبل الميلاد أول من قرر أنّ الأرض تدور حول الشمس إلاّ أنّ معظم المفكرين الاغريق ظلوا على اعتقادهم بأنّ الشمس والنجوم والكواكب السيارة تدور حول الأرض.

3- الفنون: قدّم المعماريون والنحاتون والمصوّرون مساهمات مهمة للفنون، وناضلوا جميعا لإيجاد تصور للجمال يستند على التناسب المتناسق. وكانت المعابد أكثر الأعمال المعمارية أثرًا؛ لأنّ المعابد تتكون من أعمدة متسقة محيطة بقاعة طويلة داخلية.

طوّر الإغريق ثلاثة نماذج للأعمدة: النموذج الدوري البسيط، والأيوني الجميل، والكورنثي المزخرف.

وكانت أفضل المعابد التي تمّ بناؤها في الأكروبولس بأثينا في القرن الخامس قبل الميلاد.

رافقت الموسيقى في الغالب المسرحيات والقصص الشعرية في بلاد الإغريق. وكان الموسيقيون يعزفون المعزوفات الموسيقية في الاحتفالات والاجتماعات الخاصة، واعتمدت تلك الموسيقى وبشكل رئيسي على اللحن والإيقاع.

قدّم الكتاب الاغريق العديد من الأشكال الأدبيه، بما فيها القصيدة، وشعر الملاحم، والمسرحيات المأساوية والهزلية.

ملاحظة :

الأكروبولس هو المركز الديني والعسكري للدولة المدينة في اليونان القديمة، يقوم الاغريق عادة بتحصين جبل يسمى أكروبولس داخل المدينة ، أو بالقرب منها بغرض الدفاع، وهو في الغالب أول مكان يُسكن.

المحاضرة السادسة: حضارة بلاد الرومان:

- نبذة تاريخية :

أُسِسَت روما بنحو منتصف القرن السادس قبل الميلاد، وامتازت هذه البلاد بسهولة واسعة ومناخ معتدل، وهذا يدل على أنّ للبيئة الجيدة الأثر الكبير في نشوء وتطور الحضارة، وكانت سببا في جذب هجرات مختلفة إليها ومنها هجرة الإيطاليين والغال، وهذه الجماعات بدأت بتعلم أصول الحضارة بالتدرج من خلال اتصالها بالحضارات المجاورة .

ظهرت في روما دويلات ومدن عديدة تمكنت في النهاية دويلة روما من فرض نفوذها وتوحيد جميع الدويلات في دولة واحدة.

انتقلت هذه الدولة إلى النظام الأمبراطوري في عهد الامبراطور ( أوغسطس)، بعد استبدال النظام الجمهوري، وبدأت الامبراطورية الجديدة تضم شعوبا مختلفة وكان هذا بنحو عام 30 ق.م ، وبعد العديد من الأحداث سقطت هذه الدولة على يد القائد الجرماني ( دواكر) ، وتمّ خلع آخر إمبراطور روماني ( رومِلُوس ) عام 476م.

- أشهر أباطرة الدولة الرومانية :

يعدّ الامبراطور (أوكتافيوس) من أشهر حكام الدولة الرومانية حكم بين ( 30 ق.م قيل 27 ق.م - 14م.) وفي عهده ولد المسيح عيسى بن مريم وهو من أنبياء أولي العزم ( نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، محمد ) عليهم السلام أجمعين. ساد في عصر الأمن و السلام، وانشغل بأمور البناء والعمران، وابتعد عن أسلوب العنف في التعامل مع معارضيه ولم يعادِ مجلس الشيوخ بل تعامل معهم بكل احترام وتقدير، ولهذا أحبّه الشعب حباً كبيرا حتىّ لقّب ( أوغسطس) ويعني المبجل أو الموقر. وقد مات هذا الحاكم في 19 من شهر آب عام 14م، فأُطلق اسمه على شهر آب حيث سمّي بشهر (أوغسطس) تخليدا له.

- أنواع المقابر عند الرومان:

تنقسم المقابر في عهد الرومان إلى أنواع ثلاثة:

1- القبور وهي عبارة عن أقبية تحت الأرض وبخرائط مفتوحة.

2- القبور التذكارية: وهي عبارة عن أبنية مستديرة الشكل ذات اتساع معين محاطة ببواكي وترتكز على أسفال وسقف مخروطي الشكل.

3- القبور الهرمية: وقد دخلت إلى روما عقب فتح مصر عام 30ق.م على شكل أهرامات.

- أهم المظاهر الحضارية للدولة الرومانية:

1- القانون والحضارة الرومانية:

كان الرومان شعب روما العتيقة، قد أسسوا أمبراطورية احتلت أكثر بلدان البحر الأبيض المتوسط وأوروبا الغربية حتى سقوطها في عام 476م، وكانت لغتهم هي اللغة اللاتينية، وقد عُرِفوا بعدم تقديرهم لقيمة الوقت، كما أنّهم لم ينصفوا العمال والطبقات المغلوب على أمرها مثل ( العبيد والفقراء والفلاحين)، ولم يمنحوهم حقوقهم وحرياتهم خوفا من الثورة عليهم وعلى أملاكهم وسلطتهم، ومع ذلك فقد اشتهرت هذه الحضارة بالازدهار الاقتصادي والمادي ، وذلك بفضل كدّ الكادحين من الطبقة الفقيرة.

و يعد القانون الروماني من القوانين المشهورة حتّى إنّه أثّر في كثير من القوانين المعمول بها اليوم، واهتمت الدولة بالإضافة إلى سن القوانين، الاهتمام بالجيش وصفوفه، كما اهتموا بكتابة التاريخ ومن مؤرخيهم شيشرون( 106-43 ق.م ، الذي ألف الكثير من كتب التاريخ.

2- الفنون المعمارية:

ورثت العمارة الرومانية من الإغريقية كلّ فنونها في العمارة، والنحت والزخرفة، وأضافوا طابعهم الخاص الذي لا يخطئه أحد، وكوّنوا فنا دكتاتوريا انتشر في جميع أنحاء الأمبراطورية الرومانية. وكان أهم ما يميّز الحضارة الرومانية هو الاهتمام في مجال العمارة بتشييد المباني الدنيوية والأماكن العامة كالمسارح.

وقد خلّف لنا الرومان الكثير من المآثر العمرانية. ومن هذه المآثر أسوار المدن والبوابات والجسور والمجاري والمعابد والمقابر، ومن معابدهم المشهورة معبد( جو بيتر)، وقد كان الاعتناء كبيرا بهذه الآثار حتى أصبحت مصادر جذب للسياح ، إذ تقدّم لإيطاليا موارد مالية كثيرة.

ملاحظة:

بلاد الغال تضم المناطق التي تشمل حاليا فرنسا وبلجيكا، والجزء الالماني الواقع غرب نهر الراين.

# المحاضرة السابعة: الحضارة الفارسية

نبذة تاريخية :

- فارس القديمة : أرض تشمل أجزاء من كلّ من إيران وأفغانستان الحاليتين ، في ظل قورش الكبير وداريوس الأول وأحشورش وغيرهم من القادة .

أصبحت فارس موطنا لحضارة مزدهرة ومركزاً لأمبراطورية واسعة. أطلق على المنطقة اسم أرض الآريين ، الذي منه اشتق اسم إيران، و تسمى لغتهم اللغة الآرية .

كان الفرس الأوائل بدواً جاءوا إلى المنطقة من جنوبي الأورال في القرن العاشر قبل الميلاد وصاروا بعد تحضرهم إداريين ومنظمين جيّدين، استمرت الإمبراطورية التي أنشأوا أكثر من مائتي سنة . ابتكر الفرس أشياء كثيرة ومهمة في الحكم والقانون والدين ، كما ابتكروا نظاماً بريدياً استخدموا فيه تناوب الخيول السريعة ، كما أنشأوا نظاماً للري، وحاولوا توحيد المكاييل والمقاييس.

- طرق المعيشة : عاش معظم الناس العاديين في أكواخ من الطين شبيهة جدا بالأكواخ التي يعيش فيها سكان الأرياف اليوم في إيران . أما النبلاء والملوك فقد انتنوا لأنفسهم البيوت الكبيرة والقصور من الحجر ، وما تزال بقايا هذه المباني موجودة حتى اليوم .

تشكلت الأسر الفارسية المبكرة في عشائر تكونت منها القبائل، بعد نمو الإمبراطورية بدأت تختفي الوحدات الاجتماعية الأكبر من الأسرة ، وقد كان تعدد الزوجات عندهم مألوفاً، وكان الملك يختار زوجاته من بين الأسر الست الأرقى اجتماعيا فقط ، كما كنّ نساء الحكام يعشن في أجنحة خاصة .

- الأدب واللغة : تحدث الفرس القدامى الفارسية القديمة وهي لغة هندو- أوروبية لها صلة باللغة السنسكريتية في الهند وباللغة الفارسية الحديثة ، واتخذ الفرس نظاما مسماريا في الكتابة ، لكن النظام المسماري استخدم في المخطوطات الملكية فقط ؛ لأنّ عددا من الناس استطاعوا قراءته كما استخدم الفرس الآرامية ، وهي لغة سامية ذات صلة باللغتين العربية والعبرية وغيرهما كلغة كتابة ، وكانت الآرامية واسعة الاستعمال في سوريا وفلسطين وبلاد الرافدين ، واستطاع الفرس نقلها إلى الهند وآسي الوسطى وآسيا الصغرى ( تركيا حاليا) كما كانت الآرامية واللغات المحلية تستخدم في مختلف أجزاء الإمبراطورية الفارسية .

أما الأدب الفارسي القديم فما يعرف عنه إلاّ القليل.

- المعتقدات : اعتقد قدامى الفرس بآلهة من الطبيعة كالشمس والسماء، واعتقد الناس أنّ لآلهتهم قدرات اجتماعية ، فعلى سبيل المثال : إلههم ( مِثْرا) إله الضوء عندهم ، يعتقدون أنه يتحكم في العقود . هذا ولم يكن لدى الفرس معابد ، وإنما كانوا يؤدون الصلاة ويقدمون القرابين في الجبال.

قام الحكيم زرادشت الذي عاش خلال الفترة ما بين القرنين الخامس عشر والحادي عشر قبل الميلاد بإدخال تعديلات في عقيدة الفرس المجوسية ، وقد حثّ زرادشت الناس على التمتع بمباهج الحياة المادية وحضهم على الأخلاق الفاضلة . وقد نشر أتباع زرادشت تدريجيا هذا المعتقد في كلّ أنحاء فارس. وتوجد تعاليم زرادشت في كتاب ( غَاتَهاَ) وهو جزء من كتاب ديني يسمى ( أَفَسْتا ) .

- الفن والعمارة : كان فن العمارة في فارس القديمة مزيجا فريدا من الثقافات اليونانية والمصرية والبابلية وغيرها من الثقافات . وقد وُجدت بقايا القصور الملكية الضخمة فيما يعرف اليوم باسم إيران ، كما وُجدت الكؤوس والصحون وغيرها من الأشياء التي صُنعت من الذهب أثناء وجود الإمبراطورية الفارسية ، وبعد أن فتح اسكندر المقدوني بلاد الفرس أصبحت الفضة أكثر شعبية حيث وُجد الكثير من القطع الفنية الفضية .

ويُلاحظ أنّ الكثير من المتاحف تعرض المنسوجات والسجاد والفخار الفارسي .

وللعلم كانت أولى الحضارات في فارس هي تلك التي أقامها العيلاميون الذين ربما استوطنوا البلاد منذ حوالي 3000 سنة قبل الميلاد ، وقد بدأت قبائل الميديين والفرس تنتقل داخل فارس في القرن العاشر قبل الميلاد . وقد أنشأ الميديون أول دولة لهم في الهضبة الفارسية في القرن الثامن قبل الميلاد وبلغوا ذروة قوتهم في أواخر القرن السابع قبل الميلاد، ثمّ تمكن الفرس بقيادة قورش الكبير من الإطاحة بالميديين في حوالى 550 قبل الميلاد.

ملاحظة :

ميديا : دولة قديمة ، كانت تقع فيما يعرف بشمالي العراق ، وقد كانت مركزا لأمبرطورية كبيرة إبّان القرن السادس قبل الميلاد ، انتشرت حثيثا ناحية الجنوب . قام قورش بضم الأراضي والوطن الأصلي للميديين ( قبائل بدوية ) منذ عام 900ق.م.،ثمّ انتشرت حثيثا ناحية الجنوب. قام قورش بضم الأراضي الميدية إلى الإمبراطورية الفارسية وجعلها مقاطعة فارسية .

المحاضرة الثامنة: محاضرة الحضارة الهندية

توطئة:

لا شك أنّ الحضارة هي نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وإنما تتألف الحضارة من أربعة عناصر هي : الموارد الاقتصادية ، والنظم والسياسة ، والتقاليد الخلقية ومتابعة العلوم والفنون، وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق ، لأّنه إذا ما أمن الإنسان من الخوف ، تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع ، بعدها لا تنفكّ الحوافز الطبيعية تستنهضه للمُضي في طريقه إلى الفهم الحياة وازدهارها . فالفن والعلم هما عنصران متكاملان يقودان أي حضارة مهما كانت .

- أصل التسمية : يعود أصل تسمية الهند من أندوس وهي مشتقة من الكلمة الفارسية القديمة الهندوس ، ومن السنسكريتية سيندو ، وهي التسمية المحلية لنهر اندوس .

وقد نشأت الحضارة الهندية من اتحاد الثقافة الآرية بحضارة وادي نهر السند القديمة ، والواقع أنّ الهند حفلت خلال تاريخها الطويل بشعوب متعددة تكاد لا تُحصى ولأجل ذلك يقال : إنما نشأت الحضارة الهندية من حصيلة الامتزاج بين ثقافات هذه الشعوب . وتمثلت أكثر ما تمثلت في الديانة الهندوسية التي تعتبر من الأديان التي تعتنق الحياة كلّها . ومن هنا كانت لها مظاهرها الدينية والاجتماعية والفنية والأدبية في آنٍ معاً.

-الديانة في الهند:

نشأت في الهند أربعة أديان رئيسة هي الهندوسية، البوذية، السيخية، واليانية. في حين أنّ الزرادشتية واليهودية ، والمسيحية ، والإسلام وصلوا إليها في الألفية الأولى للميلاد .

وقد شكلت هذه الديانات والثقافات التنوع الثقافي للمنطقة تدريجيا. ونحن لو اقتربنا من كل ديانة من الديانات السابقة لوجدناها تقوم على نظام فلسفي وعقائدي يختلف عن الأخرى .

فاليانية هي: نظام فلسفي وعقائدي هندي قديم، يمثل اليانيون المجموعة الدينية السادسة في الهند من حيث العدد.

السيخية : هي إحدى الديانات الهندية، يطلق معتنقوها على أنفسهم لفظ السيخ ويعني عندهم التابعين حيث يتبعون تعاليم 10معلمين روحانيين .

الهندوسية : أكبر ديانات الهند وثنية، وإحدى الديانات القديمة في العالم، وهي ديانة تقوم على أكثر من إله، إذ اتخذ الهندوس من قوى الطبيعة كالمطر والشمس والعواصف والرعد والنار والماء آلهة حسب زعمهم .

البوذية : مؤسسه هو بوذا ، وقد كان معلما يقول لتلاميذه بأنه يستطيع أن يصل إلى حالة الإشراق حسب المعتقدات البوذية . وكلمة بوذا تعني المتنوّر .

والواقع أنّ الهندوسية قدمت للعالم مجموعة فريدة من الهياكل المكرّسة لعشرات الآلهة و الإلاهات ، وأنها ظلت تطبع الحضارة الهندية بطابعها الخاص حتى الربع الأول من القرن الحادي عشر للميلاد عندما حمل محمود الغزنوي راية الإسلام إلى قلب شبه القارة الهندية . ومنذ ذلك الحين تأثرت الحضارة الهندية بالحضارة الإسلامية تأثرا كبيرا وقد تعاظم هذا التأثر في عهد الأسرة المغولية الإسلامية التي حكمت أجزاء واسعة من الهند، وأنشأت فيها إمبراطورية ضخمة ازدهرت من أوائل القرن السادس عشر إلى أواسط القرن الثامن عشر، والتي عملت على تنشيط الحركة الفنية وحاولت دمج الهندوس والمسلمين في دولة هندية موحدة .

وأياً ما كان فقد كان للهنود إسهام بارز في فن العمارة وفي الفلسفة والأدب، وفي العلم أيضا، وتعتبر ملحمة (مهابهاراتا )أعظم ما قدمته الحضارة الهندية على الأدب العالمي، في حين تعتبر الأرقام التي ندعوها الأرقام الهندية ، ويدعوها الغربيون الأرقام العربية أهم إسهاماتها في الميدان العلمي .

- فن العمارة الهندية : يكاد يكون من المتعذر على الباحث فصل العمارة الهندية عن الدين ، وقد كان من دأب قدامي الهنود أن يبنوا هياكلهم وديارهم من الحجارة . وهذا ما يفسّر بقاء الكثير منها إلى اليوم ، في حين كان من دأبهم أن يشيّدوا مبانيهم الدنيوية من خشب أو طين أو آجر . ومن أجدل ذلك لم يبق لنا من هذه المباني التي ترقى إلى ما قبل القرون الوسطى غير النزر القليل. وحتى الفتح الاسلامي سيطرت على العمارة الهندية ثلاثة طُرُز رئيسة هي : الطراز البوذي ، والطراز الياني ، والطراز الهندوسي ، وابتداءً من القرن الثامن للميلاد تأثر فن العمارة الهندية بفن العمارة الإسلامية تأثرا كبيراً حتى إذا قَرُب القرن الثالث عشر على البزوغ نشأ فن العمارة الهندية - الإسلامية المتميّز ، وذلك عندما أنشأ الفاتحون المسلمون مساجدهم في دلهي ، ومن أشهر المساجد مسجد ( قوت الإسلام) . وليس من شك بأنّ من أروع نماذج العمارة الهندية ( تاج محل) الذي يندرج ضمن أشهر المباني وأجملها في العالم يضمّ هذا المبنى الرخامي الأبيض قبري الحاكم الهندي شاه جهان وزوجته.

# المحاضرة التاسعة: الحضارة الصينية

توطئة:

قامت الحضارة الصينية القديمة في وديان الازهار الثلاثة ، وهي النهر الأصفر ويسمى ( هوانج) والنهر الأزرق ويسمى ( يانغ تشي كانغ ) ، والنهر الجنوبي المسمى ( سي كانغ ) حيث وُجدت بقايا الانسان القديم وتعود الى 400.000 سنة حيث كان يعيش على الصيد والزراعة. ولقد عثر علماء الآثار على آلاف الكشوف التي ترجع إلى عصر يتراوح بين 8000-6000 سنة ق. م ، وهذه الكشوف عبارة عن نقوش لأشخاص وحيوانات كانت تعيش في المنطقة.

- بدايات الحضارة الصينية :

عاش الناس فيما يطلق عليه الآن اسم شمالي الصين قبل بداية تدوين التاريخ فإنسان بيكين عاش ما بين 500و250.000 عام خلت شهدت المنطقة تطورات العصر الحجري، واحتضنت الصين حضارتي يانج شاو، ولونج شان.

بلغت حضارة يانج شاو أوجّها حوالي عام 3000 سنة قبل الميلاد، وامتدت هذه الحضارة من الوادي الاوسط هوانج الى الاقليم المعروف حاليا باسم جانسو. ثمّ حلّت محلها حضارة لونج شان التي انتشرت في أنحاء البلاد كافة عاش شعب هذه الحضارة داخل الأسوار وزرعوا الأرز والدُخن وربوا الابقار والأغنام.

انبثق عن حضارة لونج شان السلالة الحاكمة شانج في القرن الثامن قبل الميلاد، نشأ خلال هذه الحضارة مجتمع متطور تحكمه بالوراثة طبقة أرستقراطية . وإنّ أهم ما قدمته هذه الحضارة ، وما يزال شاهدا على عراقتها يتمثل في المباني البرونزية الضخمة ، وتماثيل الخيول والعربات ، ووضعها لنظام كتابة خاص.

في عام 1122ق.م قام سكان غربي الصين بإنهاء حضارة شانج، وأقاموا بدلا منها حضارتهم وهي حضارة سلالة تشو التي حكمت الصين حتى عام 256ق.م ، وفي عام 500سنة قبل الميلاد ظهر الفيلسوف كنفوشيوس الذي حوّل الناس من الدين إلى الفلسفة كما كان عليه الحال في اليونان، وإبان تلك الحقبة الزمنية وخلال فترة حكم تشو تحارب الحكام من أجل بسط نفوذهم على الأراضي الصينية كافة .

ظلت الحضارة الصينيةفي الفيرة الممتدة من 500 إلى 1500م محصورة ومعزولة داخل الصين، لا تتفاعل ولا تتأثر بغيرها من الحضارات، فأفادت من هذه العزلة الناتجة عن صعوبة الوصول إلى الصين، فبقيت الحضارة مستقلة ومكتفية ذاتيا، وفي عهد أسرتي تانغ ( 618-907م ) ، وسونج ( 960-1279م) شهدت الصين رخاءً ملحوظاً، وإنجازات حضارية جمة، فقامت المدن و تطورت، واخترع نظام الري، كما تمّ اختراع البوصلة المغناطيسية والطباعة والبارود.

كما أنّ هذه الفترة شهدت غزو المغول بقيادة قِبْلاي خان للصين، وإقامتهم لحكم أميرة يُوران التي حكمت الصين من 1279م إلى عام 1368م.والتي تمكنت ولأول مرة من توحيد البلاد تحت حكم أجنبي. وقد زاد اختلاط الصين بالعالم الخارجي ، كما زادت معرفة الأوروبيين بها بسبب زيادة المكتشفين ، لكن سرعان ما قامت الثورة على حكم هذه العائلة وخلفتهم في الحكم عائلة مينج التي حكمت حتى 1644م .

- الفن والعلم في الصين:

إنّ أقدم الفنون الصينية المعروفة هي الاعمال الفخارية والأحجار الكريمة المنحوتة والأوعية البرونزية الجميلة التي استخدمت قديماً في الاحتفالات الدينية والتي تعود إلى 5000 سنة قبل الميلاد. وقد تمّ العثور على الكثير من هذه الآثار أثناء عمليات حفر المدافن القديمة .

ومازالت الحفريات مستمرة حالياً بحثاً عن التحف الفنية التي تمثّل العصور ، ابتداءً من القرن الثالث قبل الميلاد حتى الوقت الحاضر بدعم السلطة الحاكمة ، لإيمانها بأنّ الشعب هو مبعث الفن ومصدره، فالمزارع والعامل والجندي وباقي الأقليات جميعاً مصدر إلهام فني، إذ يطالب الحكام الفن بالتعبير عن حاجات المجتمع وأهدافه، وهكذا نشط الفن لمعالجة الموضوعات اليومية لحياة العمال والفلاحين بين الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين، كما عكس الأهداف الشعبية والأفكار المستوحاة من بلدان أخرى.

- الأدب عند الصينيين:

يعد الادب الصيني من أعرق الآداب العالمية وأجملها ، ومن أفضل الأعمال القديمة في الادب الصيني مجموعة أشعار أطلق عليها أغنيات كلاسيكية، ويرجع تاريخ بعض هذه القصائد إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد .

- فن الرسم عند الصينيين:

منذ خمسة آلاف سنة قبل الميلاد زخرف الفنانون الصينييون أعمالهم الفنية من الفخار والخزف بتصاميم متطورة ، وأوجد الصينيون زخرفة الرسم على الحرير منذ عام 400 سنة قبل الميلاد ، وبعد هذا التاريخ شاع الرسم على الورق ، ومن أهم الموضوعات التي رسموها الانسان والآلهة و الأرواح، أما الطبيعة فلم تحظ لدى الفنانين الصينيين بأهمية إلا بعد الميلاد.

ارتبط الفن لدى الصينيين بالخط الخزف؛ إذ بدأ الصينيون استخدام ريشة الخط عام 1122ق.م ، واستخدموا الريشه نفسها للرسم والكتابة في آن واحد. واستخدم الفنانون الصينيون اللون الاسود الذي حضّروه من الصنوبر والصمغ ، كما استخدموا الاصباغ النباتية والمعدنية لتلوين لوحاتهم.

- فن النحت والخزف:

كانت أول أعمال النحت الصيني تماثيل صغيرة وُضعت في المقابر، واستخدم النحاتون أحجار اليشم والبرونز في أعمالهم الفنية ،ة كما استخدم بعض الفنانين البرونز في صناعة الأواني التي ظنوا أنّ الموتى يستخدمونها في احتفالاتهم بعد الموت . وكان معظم هذه الاواني مقوْلباً على عدة أشكال من أهمها أشكال الحيوانات .

عُثرَ عام 1974م على آلاف الاشكال الآدمية والخيول قرب مقبرة أول إمبراطور في مدفن زيَانْ، ويعود تاريخ هذه التحف الى القرن الثالث قبل الميلاد.

-الديانة :

نُقلت الديانة البوذية الى الصين من الهند وبعد انتشارها وظّف الفنانون لخدمتها ، فأُقيمت المعابد داخل المدن الكبيرة أو قريبا منها. وقام بعض النحاتين بعمل تماثيل لبوذا بصحبة أتباعه .

وعمل آخرون تماثيل من الفخار وقوالب من البرونز ثمّ طلي هذه التماثيل بالألوان ، وطلي بعضها بالذهب . واستخدم الصينيون الخزف منذ عصور ما قبل التاريخ ، وبرعوا في هذا المضمار الفني.

- الفن المعماري:

شُيّدت معظم البيوت الصينية من الأخشاب على أساس من الصخر ، ومن أرز معالم الفن المعماري الصيني سقف مجنح الاطراف بشكل جذاب إلى أعلى . يحمل هذا السقف أعمدة خشبية أما الجدران فلم تكن تشكِّل دعما لهذا السقف، بل مجرد حواجز ساترة ، كما بنى الصينيون أبراجاً متعددة الادوار أطلقوا عليها اسم الباجودة .

- الموسيقى:

تختلف الموسيقى الصينية عن الموسيقى الغربية اختلافا كبيرا لأنها تستخدم سلما موسيقيا مختلفا؛ إذْ يوجد في سلم الموسيقى الصينية خمس نغمات . أهم ما في الموسيقى الصينية هو اللحن ، كما تختلف آلات العزف الصينية عن آلات العزف الأخرى، ويوجد لدى الصينيين آلة تشبع العود تدعى ( بيبا) ونوعان من الناي هما: أكْسِيُو و دَايْ . ويستخدم العازفون الصينيون اليوم الآلات الموسيقية الغربية، ويعزفون معظم الالحان الغربية .

- المسرح:

بدأ تقديم المسرحيات الصينية رسميا منذ بداية القرن التاسع عشر، وكان مسرح بكين أكثر المسارح شهرة ، وتقوم العروض المسرحية على أساس القصة والتاريخ والفولكلور الصيني.

- اللغات :

يتحدث شعب الهان اللغة الصينية ذات اللهجات المتعددة، ولشدة اختلاف النطق بين اللهجات، يطلق بعض الناس من غير الصينيين على اللغة الصينية اسم ( مانْدرين)، إلاّ أنّ الصينيين يفضلون تسميتها ( بوتونغو ) أي اللغة العامة .

يتحدث قرابة 70 بالمئة من السكان اللغة الصينية الشمالية التي تدرس في المدارس الصينية، ومن الغريب أنّ الصينيين يكتبون اللغة بطريقة واحدة على الرغم من اختلاف النطق في اللهجات . تتحدث الاقليات الصينية لغات عدة منها الكورية والمغولية واليوغورية. وتستخدم كل أقلية لغتها الخاصة في مدارسها ومطبوعاتها. كما تتعلم بعض الأقليات اللغة الصينية على أنّها لغة ثانية.

ملاحظة:

1- يطلق الصينيون على بلادهم اسم تسونغوا ويعني البلد الأوسط، و تعود هذه التسمية لاعتقاد الصينيين قديما بأنّ بلادهم تتوسط الكرة الأرضية، وأنّهم الشعب الوحيد الذي يملك حضارة .

2- يمثل شعب الهان حوالي 90بالمئة من سكان الصين ، ويتكون بقية المجتمع الصيني من خمس وخمسين أقلية.

# محاضرة حضارات شبه الجزيرة العربية القديمة

## 1- العرب في شبه الجزيرة العربية

تقع شبه جزيرة العرب في الجزء الجنوبي من قارة آسيا، وشكلها عبارة عن هضبة مستطيلة مرتفعة من جهة الغرب، وتنحدر تدريجيا كلما اتجهنا شرقاً حتى تصبح سهلية عند الخليج العربي، تحيط بها المياه من جهة الجنوب والغرب و الشرق، والعرب هم السكان الأصليون لهذه المنطقة ومنها كان انتشارهم إلى سائر البلدان المجاورة .

وسكان هذه المنطقة يتكونون من الحضر و البدو، حيث استوطن الحضر في المناطق الخصبة في جنوب شبه الجزيرة العربية، أما البدو فكان انتشارهم في الأراضي الصحراوية في المناطق الوسطى والشمالية .

ويُذكر أنّ منطقة شبه الجزيرة العربية في العصور الجليدية كانت منطقة خصبة بسبب سقوط كميات وفيرة من الأمطار ، ونتيجة للجفاف الذي حلّ بها فيما بعد فقد دفع الاقوام الساكنة في المنطقة الجنوبية إلى الهجرة، حيث شكلت هذه الاقوام المهاجرة دولا مثل دولة الحضر والمناذرة في العراق، ودولة الانباط وتدمر والغساسنة في بلاد الشام، ودولة كندة في وسط شب الجزيرة العربية.

## 2- أهم المراكز الحضارية الشمالية :

### أولاً : دولة الحضر:

تقع أطلال وبقايا مدينة الحضر اليوم جنوب غرب الموصل بمسافة (110كم) ، وكانت هذه الدولة قد ظهرت في حدود القرن الثاني قبل الميلاد، وكان لها دور كبير في تطور الحركة التجارية بين موانئ الخليج العربي، والسواحل الشرقية للبحر المتوسط، ولأهميتها التجارية قام شابور الأول ( المعروف سابور ذو الاكتاف) ملك الساسانيين بفرض حصار على هذه المدينة لمدة عام كامل وعلى إثرها سقطت هذه الدولة عام 241م.

- أشهر ملوكها:

حكم هذه الدولة عدة ملوك ومن أشهرهم الملك (سنطروق الأول ) 160م-190م، وتمتعت الحضر في عهده بالاستقرار و السلام، حتى إنّه ضرب النقود ووضع عليها صورة إله الشمس، ومن ملوك الحضر الملك سنطروق الثاني الذي لقب ( بالمظفر ملك العرب )، وتمتعت الدولة باستقلالها وامتد نفوذها شمالا حتى نهر الخابور( عند الحدود التركية ).

- أهم المظاهر الحضارية لدولة الحضر :

عبد سكان الحضر إله الشمس وسموه ( بعل شمس ) ويعني سيد السموات، وعبادتهم كانت قد تأثرت بالموروث الحضاري للدولة الآشوريه ومن خلال الاكتشافات تبيّن أنهم كانوا على قدر كبير من التطور خاصة في مجال العمارة والفنون والدين ، وما خلّفه أهل الحضر من أبنية شاهقة ومعابد خير دليل على ذلك. كما اهتم أهل الحضر بالتجارة بشكل كبير.

ثانيا : دولة المناذرة:

تسمى هذه الدولة بدولة المناذرة لأنّ خمسة من ملوكها يسمّى بـ( المنذر) ، وأصل المناذرة من القبائل العربية النازحة من جنوب شبه الجزيرة العربية التي استقرت في منطقة الحيرة الواقعة على بعد ( 5كم )جنوب غرب الكوفة. وقد اتخذوا من مدينة الحيرة عاصمة لهم .

- أشهر ملوكهم:

حكم دولة المناذرة تسعة عشر ملكاً ومن أشهرهم عمرو بن عدي بن نصر ( 268- 288م) وهو الذي اتخذ من الحيرة عاصمة للمناذرة ، واستمر حكم هذا الملك 20عاما ، ودانت له الكثير من القبائل العربية بالولاء.

ومن أشهر ملوكهم أيضاً عمرو بن المنذر ويسمى أيضا عمرو بن هند ( 554- 569 م)، وهند هو اسم أمه وكان يلقب بها ، وقد سار على نهج والده المنذر في تقوية الدولة وتثبيت وضعها الداخلي، وإقامة علاقات خارجية مع الدولة الساسانية، وظلّ في صراع مع الروم ، وأصبحت الحيرة في عصره ملتقى لمشاهير الشعراء.

- علاقة دولة المناذرة بالدولة الساسانية:

عندما نشأت دولة المناذرة في العراق كان الساسانيون قد وحدوا بلاد فارس وأقاموا عاصمتهم في العراق، وهي طيسفون ( او ما تعرف بالمدائن )، واستمرت العلاقات طيبة بين الدولتين لأنّها دولة حاجزة ( بين الروم والساسانيين ) ولها مكانة متميزة، إلا أنّ العلاقات قد ساءت عندما كان أبو قابوس النعمان بن المنذر ملكا على الحيرة وكسرى ( أبرويز) ملكا على الساسانيين . وتمكنت حامية فارسية من أسر النعمان وإرساله الى كسرى الذي زجّه بالسجن وقتله. وبذلك ينتهي حكم دولة المناذرة .

- أهم المظاهر الحضارية لدولة المناذرة

لقد اهتم ملوك المناذرة بمختلف الجوانب الحضارية، ومنها الاهتمام بالجيش حيث كان منظما تنظيما جيداً، وقد قُسِّم الى كتائب وفرق عديدة منها الشهباء والدوسر. أما في مجال البناء فقد اشتهرت الحيرة بقصورها، ومن هذه القصور السدير والخَوَرْنَق، كما عرفوا المدارس التي يتم فيها القراءة والكتابة ، ومن الحيرة تعلمت قريش الكتابة مما يعني أنّ للحيرة الدور الكبير في نشر التعليم والثقافة، وقد انتشرت الديانة المسيحية في أرجاء بلادهم وشُيِّدت الكثير من الكنائس والأديرة، وتعايش المجتمع بحب ويلام ، وهذا يدل على التسامح الديني بين أبناء الحيرة واحترامهم لحقوق الانسان.

ثالثا: دولة الأنباط:

تقع هذه الدولة في الجنوب الشرقي من بلاد الشام(الاردن حاليا)، وقد ظهرت دولة الانباط في حدود عام( 587ق.م)، وكان أهل الانباط قبائل بدوية تتجول في بوادي شمال الحجاز والشام والعراق قبل استقرارهم في الانبا، واسم عاصمتهم بطرا( البتراء) ، وتعني باليونانية بلاد الحجر، وقد نشأت في هذه المدينة صهاريج لحفظ المياه وكان لها موقع تاريخي مهم. وقد سقطت هذه الدولة على يد القائد الروماني تراجان عام 106م.

- أشهر ملوكها:

الحارث الثالث ( 87- 62ق.م )

قدم هذا الملك المساعدة لأهل دمشق لطرد السلوقيين منها ، وصدّ هجوم القائد الروماني بومبي وحافظ على استقلال البلاد.

- أهم المظاهر الحضارية لدولة الانباط:

كانت أغلب أسماء أهل الأنباط قريبة من أسماء أبناء عرب الحجاز مثل الحارث وكليب وقصي ووائل، واستعمل أهل الأنباط الخط النبطي المشتق بدوره من الخط الآرامي، كانت ديانتهم الوثنية ، حيث عبدوا آلهة متعددة منها الاله ذو شرى والإله الشمس واللات ، وبعد توسع حكمهم أخذوا يشيّدون الابنية الكبيرة والقصور والمعابد والدوائر الحكومية وكثيرا من هذه محفورة بالصخر.

رابعا: دولة تدمر :

نشأت هذه الدولة في بادية الشام( سوريا حاليا ) حول واحة غزيرة المياه ، ولموقعها أهمية كبيرة لأنّها حلقة وصل بين بلاد الشام والعراق ولهذا اصبحت مكانا لاستقرار القبائل العربية . وفي بداية الالف الأول قبل الميلاد، عقدت هذه الدولة المعاهدات مع الدول المجاورة لتنظيم التجارة وحماية القوافل.

- أشهر ملوكها:

بعد مقتل القائد أذينة حكمت الملكة زنوبيا وكانت وصية على وابنها وقد اتصفت هذه المرأة بالطموح والقوة . وحينما شاهدت اضطراب الاوضاع في الدولة الرومانية عام 268م، جعلت من ابنها يحمل لقب (قنصل) وقائدا عاماً لجميع جيوش المشرق إلا أنّ الامبراطور الروماني ( أورليان) تمكن من شن هجوم على تدمر عام 272م، وتمكنّ من أسر زنوبيا واقتيادها إلى روما.

- أهم المظاهر الحضارية

كان الفن التدمري متطوراً ويعدّ ( قوس النصر) من أبرز معالم المدينة، ولوقوعها على الطرق التجارية اشتهرت بالنشاط التجاري وتنظيم القوافل وتقديم الخدمات لها ، وكان التدمريون يعبدون آلهة متعددة ، واتخذوا لهذه الآلهة المعابد وكان هناك مجموعة من الكهان لإدارة هذه المعابد.

خامسا: دولة الغساسنة

الغساسنة أصلهم من جنوب شبه الجزيرة العربية وسبب تسميتهم بالغساسنة كان نسبة الى عين ماء تسمى( غسان) بالقرب من دمشق اجتمعوا عندها فسُموا بها . ومؤسس هذه الدولة هو ( جفنة بن عمرو)، ولا يُعرف عدد ملوكهم بالضبط، وقد تمكن الروم بعد خديعة ( النعمان بن المنذر ) من أخذه أسيرا الى القسطنطينية عام 584م، وبعدها تفككت هذه الدولة حتى جاء الفتح العربي الإسلامي لبلاد الشام بعد معركة اليرموك عام 14هـ/636م.

-أشهر ملوكها

الحارث الثاني بن جبلة 528-569 م

تمكن هذا الملك من محاربة دولة المناذرة كما ساعد الروم في ضبط حدود بلادهم مع الدولة الساسانية وبقدرته فرض السيادة والأمن على أرض فلسطين ولجهوده نشأ تحالف وثيق مع الروم وآخر ملوك الغساسنة ( جِبلَة بن الأيهم) حكم هذا مدة ثلاث سنوات وقد انحاز الى المسلمين يوم معركة اليرموك وقد قال حينها ( أنتم إخوتنا وبنو أبينا)

- المظاهر الحضارية لدولة الغساسنة

لم يكن الغساسنة يرغبون بالعيش في مقرات ثابتة بل كانوا دائمي التنقل والحركة، وقد ظهرت لهم عدة حواضر منها الجابية وبصرى ، ويعد بلاط الغساسنة مركزاً للشعراء الكبار مثل ( النابغة وحسان بن ثابت ...) أما ديانتهم فكانت الوثنية إلا أنّ المسيحية انتشرت بينهم فيما بعد. وأنشأ الغساسنة العديد من الكنائس والأديرة.

سادساً : دولة كندة

يرجع أصل قبيلة كندة إلى حضرموت ، حيث أقاموا دولتهم في وسط شبه الجزيرة العربية ثمّ توسعت الى أطراف العراق وبلاد الشام لكن ما إن قُتِل ملكها الحارث بن عمرو والد الشاعر امرؤ القيس( صاحب المعلقة المشهورة) حتى انتهى حكم هذه الدولة .

- أشهر ملوكها

من ملوكها المشهورين الملك( حجر بن عمرو) الذي تمكن من مدّ نفوذه بين العرب من خلال عقد التحالفات مع القبائل العربية وأصبحت كنده ذات نفوذ وتأثير قوي.

- المظاهر الحضارية

كشفت التقنيات الأثرية الحديثة أنّ هناك منطقة يطلق عليها ( الفاو) أو قرية في نجد عُثِر فيها على أسواق وعملات نقدية ومعابد وبقايا آثار تدل على نشاط زراعي وهذا يعني اهتمام أهل كنده بالتجارة والزراعة والديانة.

3- أهم المراكز الحضارية في بلاد العرب الجنوبية

- دويلات اليمن القديمة

تقع بلاد اليمن في الجنوب الغربي من شبه الجزيرة العربية، وتسقط عليها أمطار وفيرة في فصل الصيف وتسمى بالأمطار الموسمية ، وقد ساعد الموقع على اشتغال أهل اليمن بالزراعة والتجارة حتى أصبحت بلادهم من أغنى بلاد العرب ، ولهذا وُصفت باليمن السعيد، ومن أهم منتوجات اليمن العطور والبهارات والبخور، والتي تستخدم في المعابد والتحنيط وللأطعمة .

إنّ ازدهار التجارة وتنوع المحاصيل الزراعية في اليمن أدى إلى ظهور ممالك ومدن كان لها دور مهم في بناء الحضارة العربية القديمة ، ومن هذه الممالك:

أولا : مملكة سبأ 950-115 ق.م

وهم قبائل عربية انحدرت باتجاه اليمن، اتخذوا من مأرب شرق صنعاء عاصمة لهم. وكان يطلق على ملوكهم في بداية الأمر ( مكرب) ويعني ( القدس) وأول مكارب سبأ هو سمْح علي (800- 780ق.م) ، اهتم أهل سبأ ببناء السدود، ومن أشهر سدودهم سد مأرب وسد حبادر كما اشتهروا بالتجارة ، وكانت تجارتهم مع شبه الجزيرة العربية وسواحل أفريقيا، وتعاقب على حكم اليمن بعض الحكام الضعفاء الذين لم يتمكنوا من السيطرة على البلاد ما أدى إلى انقسامها، كما أدى انهيار سد مأرب إلى تخريب البلاد وسيطرة الحمْيَريون على مملكة سبأ.

ثانيا : مملكة معين (420-120ق.م)

نشأت هذه الدولة في منطقة الجوف وهي تقع بين نجران وحضرموت، تتميز بتربة خصبة وتسقط عليها الامطار الموسمية في فصل الصيف، ونظرا لخصوبة التربة اشتهرت بالزراعة وبسبب موقعها المتميز عمل أهلها بالتجارة، ومن المدن المهمة في معين هي ( قرناو) والتي عرفت فيما بعد بمعين وهي عاصمة الدولة ، ومدينة ( يِثيلْ ) وهي مركز ديني مهم عند المعينيين حيث كان يعبد فيها الاله عشتار.

والحكم عندهم ملكياً وراثياً، ولقب ملك معين ( مِزْود) ومعناه المقدس.

ثالثا : مملكة حِمْيَر ( 115ق.م- 525م )

انتعش الحميريون الذين سكنوا منطقة الساحل البحري بتطور التجارة، ازدادت قوتهم وأسسوا دولة عاصمتها ( ظِفار) التي تمكنت من القضاء على دولة سبأ، وأصبحت هذه الدولة محط أطماع الفرس والبيزنطيين ؛ حيث دفع البيزنطيون الأحباش لغزو بلاد اليمن عام 525م والسيطرة عليهم ، ولم يكتفوا باحتلال اليمن وإنما جهز قائدهم ( أبرهة ) حملة للسيطرة على مكة المكرمة، لكن تلك الحملة فشلت بأمر الله تعالى وقدرته ، ومات أبرهة وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في سورة الفيل.

وقد تمكن القائد( سيف بن ذي يزن ) بعد أن طلب المساعدة من الدولة الساسانية من طرد الاحباش من اليمن وأصبح حاكما عليها عام 575م .